مجلة
مركز بحوث ودراسات
المدينة المنورة

العدد ٤٣

رمضان ١٤٣٧ هـ - يونيو ٢٠١٦ م

معالم من الحرمين الشريفين

غزوة حمراء الأسد الموقع والأحداث

بنو كِلفِة بن عِوف بن عِمرو بن عِوف ابن مالِك بن الأوس وهم بنو جِحجِبا

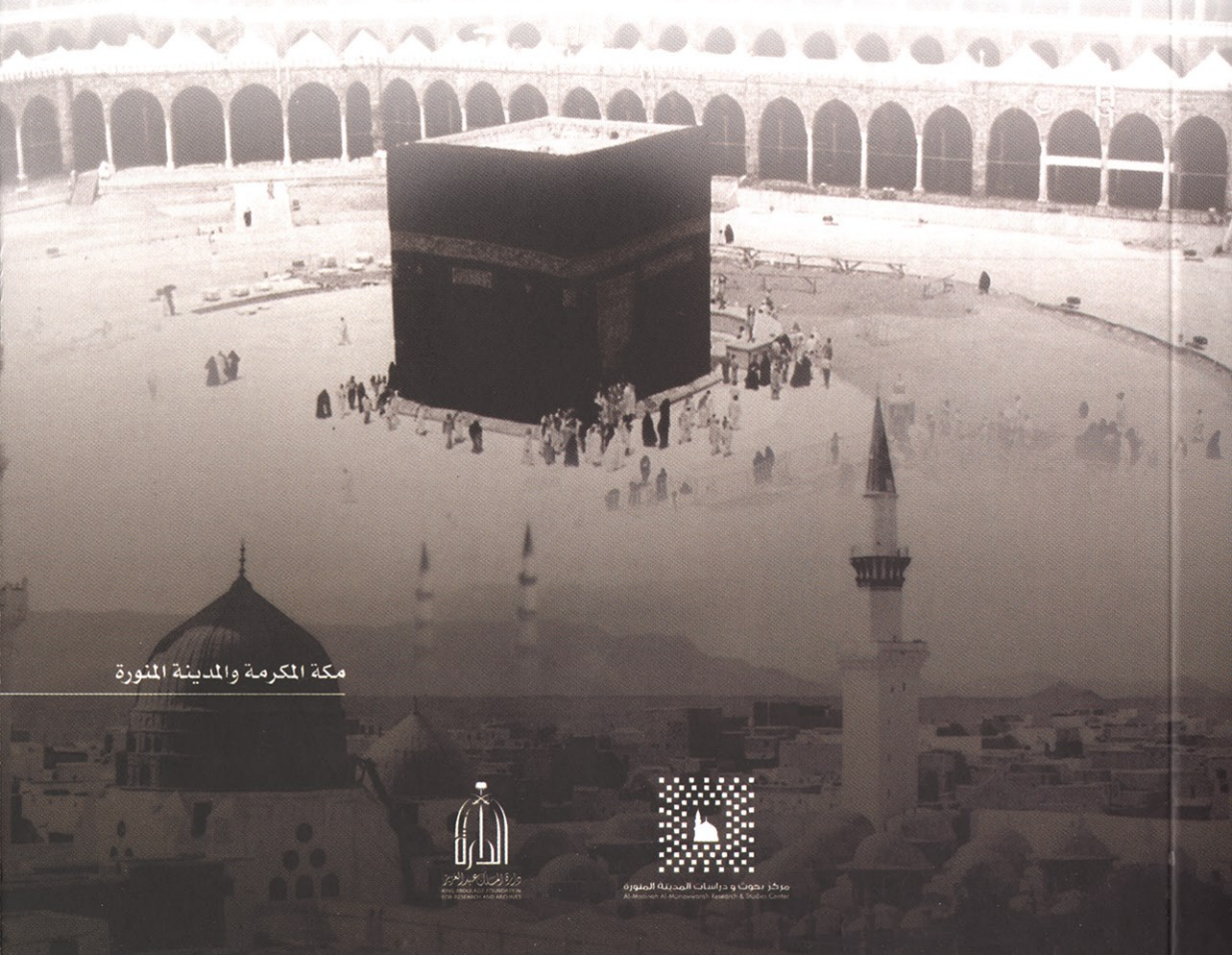

مكة المكرمة والمدينة المنورة

مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة
Al-Madinah Al-Munawarah Research & Studies Center

معـــــالم مـــــن
الحـرمين الشـريفين

إعداد:
أ.د. عبد الكريم صُنَيتان العمري
أســتاذ بقســم الفقــه ـ كليــة
الشــريعة ـ الجامعــة الإســلامية
بالمدينـــــــة المنـــــــورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله ذي الفضل والعطاء، مسبغ الخير والنعماء، ومفيض الهبات والآلاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلام، عظّم بيته الحرام، وجعله مثابةً للناس وأمنا في سائر الليالي والأيام، وعلى مدار الشهور والأعوام.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً أشرف الخلق وأفضل الورى، شَرُفَتْ بمولده فيها (**أم القرى**)، واصطفاه الله تعالى ليكون خاتم الرسل والأنبياء، يوضح للناس طريق السعادة والهدى، ويبين لهم سبيل الفلاح والتقى.

واختار (**طيبة**) لتكون دار هجرته، ومنطلق انتشار دعوته، ومنارة إشعاع رسالته، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله تعالى أكرم سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام بالرسالة، وشرّفه بالنبوة، وبعثه بالحنيفية السمحة، ليرشد الناس إلى طريق الهدى والفلاح، ويهديهم إلى سبيل الرشاد والصلاح، فابتدأ نزول الوحي عليه في مكة المكرمة، التي اختار الله تعالى أن يكون فيها بيته الحرام، وبئر زمزم والمقام، والحجر الأسود وغير ذلك من الآيات العظام، منذ زمن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وحين آذاه قومه وعشيرته، وضاق عليه البقاء والعيش في موطن ولادته، هاجر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حيث يأمن على نفسه وأصحابه، ويجد من يعينه على نشر دعوته، ويؤويه ويَسْعَدُ بوصوله، ويأنس ويفرح بقدومه، فبنى فيها مسجده الذي أُسِّسَ على التقوى، فكان الجامعةَ الإسلاميةَ الأولى، بيّن فيه للناس طريق سعادتهم في الآخرة والدنيا، وانطلقت من طيبة كتائب الجهاد، تبث دين الإسلام وتنشره في كافة الأمصار والبلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وتوالت أعدادهم وجموعهم وتكاثرت فرحًا بهذا الدين وابتهاجًا.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى، أن يكون انبثاق دين الإسلام وانتشاره من هاتين المدينتين المقدستين، وفيهما مولد ووفاة خاتم الأنبياء والمرسلين، وفضَّلهما - جلَّ وعلا - على سائر البلدان والأماكن، وميّزهما عن جميع البقاع والمساكن.

فَلِما لهما من الفضائل العظيمة، والخصائص الفريدة، والمناقب العديدة، اخترت التحدث عن شيء من تلك الميزات والفضائل، وبيان أبرز الأحكام والدلائل، في هذه الرسالة الموجزة، إذ بيّنتُ أهم المعالم في هاتين المدينتين، مما ورد في الكتاب والسنة، وفي سيرة النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وجعلته في تمهيد وفصلين ، على النحو التالي :

- التمهيد.
- **الفصل الأول : وفيه ثلاثة عشر مبحثا ، هي :**
  - المبحث الأول : مكة المكرمة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- المبحث الثاني : المسجد الحرام.
- المبحث الثالث : الكعبة المشرفة.
- المبحث الرابع : الحِجْر.
- المبحث الخامس : الحَجَر الأسود.
- المبحث السادس : مقام إبراهيم عليه السلام.
- المبحث السابع : بئر زمزم.
- المبحث الثامن : المسعى.
- المبحث التاسع : منى.
- المبحث العاشر : عرفات.
- المبحث الحادي عشر : المشعر الحرام.
- المبحث الثاني عشر : غار حراء.
- المبحث الثالث عشر : غار ثور.

- **الفصل الثاني : وفيه ثمانية مباحث ، هي :**
  - المبحث الأول : المدينة المنورة.
  - المبحث الثاني : المسجد النبوي الشريف.
  - المبحث الثالث : الروضة الشريفة.
  - المبحث الرابع : المنبر النبوي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- المبحث الخامس : الحجرة النبوية
- المبحث السادس : بقيع الغرقد.
- المبحث السابع : مسجد قباء.
- المبحث الثامن : جبل أحد.

والله أسأل أن يكون عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الفصل الأول
معالم من مكة المكرمة

- مكة المكرمة.
- المسجد الحرام.
- الكعبة المشرفة.
- الحِجْر.
- الحَجَر الأسود.
- مقام إبراهيم عليه السلام.
- بئر زمزم.
- المسعى.
- منى.
- عرفات.
- المشعر الحرام.
- غار حراء.
- غار ثور.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الأول
مكة المكرمة

في مكة المكرمة وُلِدَ ﷺ، وبها نشأ وترعرع، واشتهر بين أهلها بالصدق والأمانة، والوفاء وحسن الخلق، ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء، فأحبته القلوب، وأدناه الجميع من مجالسهم، وقرّبوه إليهم، وأنِسُوا بلقائه والحديث معه، وكان إذا جلس على فراش جده عبدالمطلب حاول أعمامُه إبعاده عنه، فيقول لهم عبد المطلب: **(دعوا ابني، فوالله إن له لشأنًا)**[1]، وكان يرعى الغنم لأهل مكة في مستهل شبابه بأجرةٍ يأخذها منهم، وعصمه الله تعالى من اللهو والعبث، وعُرِف بين الناس بالمعاملة الحسنة، وصفاء السريرة، ودماثة الخلق، واستقامة السيرة.

لقد عاش محمد بن عبد الله ﷺ في مكة، وكان قبيل البعثة يخرج إلى غار حراء، يخلو فيه بنفسه، حتى إذا أكمل أربعين عامًا، جاءه الوحي، ونزل عليه القرآن الكريم، وأكرمه الله بالرسالة، وشرّفه بالنبوة.

وفي مكة بدأ دعوته إلى دين الله تعالى، وإفراده بالعبادة، وأخذ ينشر دعوته في هذا البلد الأمين، وصبر على ما لاقاه من أذى الكفار

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ١٣٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمشركين، حتى تآمروا على قتله، فخرج منها مهاجراً بأمر ربه إلى المدينة المنورة.

في جنبات مكة ونواحيها صدع عليه الصلاة والسلام بكلمة الحق، وحذّر أهلها من الإشراك بالله تعالى، ودعاهم إلى نبذ الوثنية وأعمال الجاهلية، وكانت تنزل عليه آيات القرآن الكريم، بما تتضمنه من حثٍ له على مواصلة المهمة، والصبر على الشدائد المُلمَّة، وأن لا ييأس من الاستجابة لدعوته، فإن النصر حليفه لا محالة(١).

لقد كان ﷺ يحب مكة، ويعظّم حرمتها، فهو حين خرج منها مهاجراً، ينظر إليها ويقول: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أُخْرِجتُ منك ما خرجت**» رواه الترمذي(٢).

كيف لا، وهي البلدةُ التي عاش فيها أكثر حياته، وأنزلت عليه فيها الآيات الكريمة، التي تبين حُرْمتَها، وتدعو إلى تأمين أهلها، وعدم اقتراف شيء من المخالفات فيها، وتوضح فضائلها وخصائصها، وتعدد ميزاتها ومناقبها.

فإبراهيم عليه السلام، يدعو ربّه عز وجل أن يكون هذا المكان - الذي ترك فيه زوجته وطفلها الرضيع- بلداً يتوافد عليه الناس، وينشر في أرجائه الأمن والطمأنينة، ويفيض عليهم من فضله وخيراته، ويقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾(٣).

(١) الفصول في سيرة الرسول ١/ ٩٥.
(٢) رواه الترمذي ٨٨٣، رقم (٣٩٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٥٣٦).
(٣) سورة البقرة، آية (١٢٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويستجيب الله دعاء خليله، ويبسط الأمن في ربوع البلد الحرام، ويمتنّ الله تعالى على أهل مكة بهذه الخاصية الفريدة، وبأن ما حولهم من البلاد يسودها القلق والاضطراب، والأذى والعدوان ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[(١)].

ويذكّرهم بتغيّر حالهم، وأنه أبدلهم بالخوف أمناً، وبالقلق أُنْساً واطمئناناً، وبالجوع والفقر خيراً وإطعاماً، فليخلصوا له العبادة.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾[(٢)] ويدعو التنزيل العظيم، إلى تأمين كل قاصد للبيت، وعدم إيذائه أو التعرض له بسوء ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[(٣)].

وتتضح مكانة هذه البلدة، بما حباها الله تعالى من خصائص فريدة، مِن جَعْل بيته العتيق فيها، واختيار هذا المكان له، حيث تهوي إليه أفئدة المسلمين، وتتوافد عليه الجموع الغفيرة في كل عام، وتشتاق النفوس إلى رؤيته، وتتوالى الوفود المؤمنة تطوف حوله، تلبي نداء خالقها، ترجو مغفرة ذنوبها، وزيادة حسناتها، ورفعة درجاتها ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[(٤)].

وفي المسجد الحرام تضاعف أجور الصلوات، ويحرص كل مسلم على الصلاة فيه لينال هذا الثواب العظيم، إذ قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سورة العنكبوت، آية (٦٧).
(٢) سورة قريش، الآيتان (٣-٤).
(٣) سورة آل عمران، آية (٩٧).
(٤) سورة الحج، آيه (٢٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[(١)] متفق عليه.

وحين يكرم الله تعالى المسلم بالوصول إلى هذه البلدة المباركة، يتذكر ما كان فيها من الأحداث العظيمة، ويستعيد ما جرى على أرضها من مواقف رائعة وجميلة، وتعود به مخيلته إلى تذكر ما كان في تلك الحقبة الزمنية، حين جاء الخليل إبراهيم عليه السلام، بزوجته هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام، وتركهما في مكان خال، وأرض موحشة قاحلة، وهو يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[(٢)].

ويعود ويعرّفه الله تعالى بمكان بيته العتيق، ويبنيه ويساعده ابنه الشاب إسماعيل، ويؤذن في الناس بالحج، ويرى في المنام أنه يذبح ولده، ويعرض ذلك عليه، فيسارع الابن البار إلى طاعة أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٣)] وفداه الله تعالى بذبح عظيم[(٤)].

في أجواء البلد الحرام، وبين جباله ووديانه، تنقّل الخليل عليه السلام، وتوافدت على البيت العتيق -فيما بعد- أعدادٌ من البشر لا يحصيهم إلا الله تعالى، مستجيبين لنداء خالقهم، تلتقي جموعهم الغفيرة،

(١) صحيح البخاري (١١٩٠)، وصحيح مسلم (٣٣٧٤).
(٢) سورة إبراهيم، آية (٣٧).
(٣) سورة الصافات، آية (١٠٢).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤/ ١٥١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأعدادهم الكثيرة، بأجناسهم المختلفة، وألوانهم المتعددة، ولغاتهم المتنوعة، في مشاهد إيمانية رائعة حول الكعبة المشرفة، متجردين من كل الفوارق، يجمعهم رابط الإيمان بالله تعالى، موحدين له، يطوفون حوله، وهم يستشعرون مكانة الكعبة، وعِظَمَ حرمتِها.

لقد كان عليه الصلاة والسلام يطوف بالكعبة، وينظر إليها، ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتك» رواه ابن ماجه[(١)].

وحين أراد أبرهة هدم هذا البيت، وجاء بجيشٍ لَجِبٍ، ومعهم الفيل، عاقبهم الله تعالى، وأهلكهم، حتى أصبحوا كالتبن الذي أخرجته البهائم من بطونها بعد أكلها له، ليكون ذلك عبرة لكل من أراد سوءاً ببيت الله العتيق: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[(٢)].

والمسلم وهو يطوف حول الكعبة، يدرك أنه ليس هناك مكان آخر على وجه الأرض يشرع الطواف حوله إلا هذا البيت العتيق، وأن الطواف حول الأضرحة والقبور والأشجار وغيرها شرك بالله تعالى.

كما يعلم أنه في مكان أمَّنه الله تعالى، ودعا عباده إلى إقامة أجواء إيمانية في ربوعه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[(٣)].

(١) سنن ابن ماجه (٧٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢٠).
(٢) [سورة الفيل].
(٣) سورة آل عمران، آية (٩٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويشمل ذلك النبات، والحيوان، والمال، يقول ﷺ: «**إن هذا البلد حرّمه الله، يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضدُ شوكه، ولا يُنفّر صيدُه، ولا يلتقطُ لقطته إلا من عَرَّفها، ولا يختلى خلاه**»[(١)] متفق عليه[(٢)].

إنها خصائص عظيمة، وأحكام عديدة، انفرد بها البلد الحرام، لحكم جليلة، ومقاصد سامية نبيلة، فالمسلمون تقرُّ أعينهم برؤية البيت العتيق، وتلتقي جموعهم الكبيرة حوله، ويتجهون إليه في صلاتهم من أي مكان كانوا، فلله الحمد، وله المنة والفضل.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[(٣)].

(١) لا يقطع حشيشه الرطب.

(٢) صحيح البخاري (١٥٧٨).

(٣) سورة آل عمران، الآيتان (٩٥ - ٩٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني
المسجد الحرام

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**» رواه البخاري ومسلم[1].

في هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام أن إنشاء السفر، وقصد الزيارة تعبداً لله تعالى، لا يجوز إلا لواحد من المساجد الثلاثة المذكورة، في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس، وأن لهذه المساجد أفضليةً على غيرها من البقاع، وأفضلها المسجد الحرام، حيث ذكر عليه الصلاة والسلام أن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، وذهب بعض العلماء إلى أن حرم مكة كلها يأخذ حكم المضاعفة الحاصلة بالصلاة في المسجد الحرام، وذلك أن المراد بالمسجد الحرام في الحديث جميع الحرم[2]، وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[3]، ولم يكن ذلك من داخل المسجد الحرام بل كان من بيت أم هانئ رضي الله عنها.[4]

---

(١) صحيح البخاري (١١٨٩)، صحيح مسلم (١٣٩٩).

(٢) فتح الباري ٣/ ٦٥، الأحاديث الواردة في فضائل المدينة ٢٢٥.

(٣) سورة الإسراء، آية (١).

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٣، البحر المحيط ٧/ ٣٠٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لم يكن للمسجد الحرام سور يحيط بالكعبة منذ عهد سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام حتى عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه، بل كان ساحة مفتوحة حولها، ولم يكن هناك جدار، بل كانت الدور والمنازل تحيط به، وبين الدور طرق وممرات توصل إلى البيت من كل النواحي.(١)

ولما كان عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأى كثرة البنايات وتزايد أعداد الناس، حتى ضيقوا على الكعبة، وألصقوا بيوتهم بها، فقال للناس: إن الكعبة بيتُ الله، ولابد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها، ولم تدخل عليكم، فاشترى ما حول الكعبة من الدور وهدمها، وأدخل أرضيتها في المطاف، وبنى جداراً قصيراً حوله.

وبعد أن تولىّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الخلافة، اهتم بعمارة المسجد الحرام، فزاد في مساحته، واشترى دوراً أخرى ووسّعَه، وجعل له أروقة، فكان أول من اتخذ الأروقة(٢).

ثم توالت اهتمامات خلفاء المسلمين بالمسجد الحرام وعمارته، ولم تشغلهم إدارة شؤون الدولة الإسلامية عنه، بل كان الاهتمام بالحرمين الشريفين في مقدمة أعمالهم.

ولما أنعم الله تعالى على هذه البلاد، بهذه القيادة الرشيدة، جعلت الحرمين الشريفين وخدمتهما أجل عمل وأشرفه تقدمه خدمة للإسلام والمسلمين.

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٦١.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٢/ ١٥٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فحين فتح الملك المؤسس عبد العزيز يرحمه الله الحجاز، ودخل مكة المكرمة سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين للهجرة، لم تمض فترة حتى أصدر بعد سنة واحدة أوامره الكريمة، بترميم وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، من الجدران والأعمدة والمطاف، والمشايات المؤدية إليه، وطلاء مقام إبراهيم عليه السلام بالدّهن الأخضر، كما أمر بعد ذلك بترميم المسجد الحرام من الداخل والخارج، وتمّ إنجاز ذلك، وطليت أساطين النحاس المحيطة بمدار المطاف، التي تعلق فيها مصابيح الكهرباء بلون أخضر، وطليت رؤوسها بلون ذهبي، كما عملت إصلاحات أخرى عديدة للكعبة والمسجد الحرام والمسعى[(١)].

لقد ظلت الرعاية والعناية بالمسجد الحرام، تمثل الاهتمام الأكبر لحكام هذه البلاد، بعمل كل ما من شأنه تسهيل أعمال الحج، وتهيئة كافة السبل لراحة ضيوف الرحمن، ففي عهد جلالة الملك سعود يرحمه الله تمت أول توسعة سعودية للمسجد الحرام، حيث بدئ العمل فيها في شهر ربيع الآخر سنة ألف وثلاثمائة وخمس وسبعين للهجرة واستمر ست سنوات، وتم في هذه المرحلة هدم الدكاكين والمباني في منطقة المسعى والمسجد، والمباني الأخرى في منطقة أجياد لتوسعة الطريق المحيط بالحرم، كما تم بناء المسعى بطابقيه الأرضي والعلوي، ثم ابتدأت ثلاث مراحل أخرى لتوسعة المسجد الحرام، انتهت آخر مرحلة فيها في عام ألف وثلاثمائة واثنين وتسعين من الهجرة، حيث تم بناء ثلاثة طوابق، الأقبية، والطابق الأرضي، والطابق الأول، وتضمنت هذه التوسعة

(١) الحرمان الشريفان ، التوسعة والخدمات ٢٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالإضافة إلى بناء المسعى بطابقيه، توسعة المطاف، وتحسين مبنى بئر زمزم، وأعمالاً إصلاحية أخرى داخل الحرم وخارجه، من شأنها تسهيل مهمة الطائفين والساعين والمصلين، وتحسين الخدمات الداخلية، وإحداث الميادين، والشوارع الفسيحة، ومواقف السيارات، ودورات المياه ومواضع الوضوء، وأصبحت المساحة الكاملة للمسجد الحرام بعد نهاية التوسعة السعودية الأولى أكثر من مائة وستين ألف متر مربع.[١]

وفي أعمال هذه التوسعة تم استخدام الرخام على نطاق واسع في كسوة الجدران وتبليط الأرض، وكسوة الأعمدة المربعة، والمناطق المكشوفة حول المسجد، وحواجز السطح والشرفات.

أما التوسعة الثانية للمسجد الحرام، فقد تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- فقد كان يتردد في زيارات متكررة على مكة المكرمة والمدينة المنورة، وينتهز فرصة وجوده فيهما ليطلع بنفسه على ما يحتاجه الحرمان الشريفان، ويأمر بتوفير ذلك وتهيئته لوفود الرحمن، وكان يقول:

(إن المشروعات والخدمات المقامة والمقدمة في أعظم مدينتين في العالم، وهما مكة المكرمة، والمدينة المنورة، تأخذ حيزاً كبيراً واهتماماً واسعاً من تفكيري، وإننا سوف نؤدي إن شاء الله جميع الخدمات لهاتين المدينتين العظيمتين، لأن هذا شرف لنا وواجب علينا، خصنا الله بهما).[٢]

(١) رعاية الحرمين، للسبيل ٩٩.

(٢) صحيفة اليوم السعودية، العدد (١١٧٨٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد أمر –رحمه الله– بعدّة إصلاحات في المسجد الحرام، قبل بدء التوسعة الثانية، ففي عام ألف وأربعمائة وثلاثة للهجرة، وجَّه بنزع عقارات السوق الصغير غرب المسجد الحرام، وتعويض أصحابها بمبالغ مالية وإزالة المباني القائمة فيه، وتهيئة أكثر من ثلاثين ألف متر مربع، وتخصيصها ساحات للصلاة.

وبعد ذلك بثلاث سنوات أمر بتنفيذ مشروع لتحسين سطح التوسعة الأولى بالمسجد الحرام، ليستوعب أعداداً كبيرة من الحجاج والمعتمرين في مواسم الحج والعمرة، ولم يكن يستفاد من السطح قبل ذلك للصلاة، فتم تبليط السطح بالرخام البارد من النوع الذي بلطت به أرضية المطاف، فأضيفت بذلك إلى المسجد الحرام مساحة تقدر بواحد وستين ألف متر مربع، تستوعب تسعين ألف مصل، كما تم إنشاء سلالم كهربائية حديثة، تسهّل على المصلين من الحجاج والمعتمرين وغيرهم الوصول إلى الطابق الأول والسطح دون عناء أو تعب.

كما تم تجديد أربعة وخمسين باباً من أبواب المسجد الحرام، وعملت منحدرات لنزول عربات المرضى وكبار السن إلى الأروقة عبر الأبواب الرئيسة للمسجد الحرام، كما عملت تحسينات أخرى كثيرة في المسعى[1].

أما التوسعة الثانية التي تمت ، والواقعة في الناحية الغربية للمسجد الحرام، وكانت تعرف بالسوق الصغير، فقد وضع –رحمه الله– حجر أساسها في الثاني من شهر صفر لعام ألف وأربعمائة وثمانية للهجرة، وبدئ بتنفيذ المشروع في شهر جمادى الآخرة من العام نفسه، وانتهى العمل من أعمال

(١) رعاية الحرمين الشريفين ١٠١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التوسعة في الثلاثين من شهر ذي القعدة من عام ألف وأربعمائة وثلاثة عشر للهجرة، بحمد الله تعالى وفضله وعونه، وقد أضافت هذه التوسعة ساحات أخرى للمسجد الحرام، حيث يتألف مبنى توسعة خادم الحرمين الشريفين من البدروم السفلي، والطابق الأرضي، والطابق الأول، وصمم وبني على أساس تكييف شامل كامل، وروعي في مبنى التوسعة أن يكون منسجماً في شكله العام مع مبنى التوسعة السعودية الأولى، وكسيت الأعمدة بالرخام الأبيض الناصع، وأرضيتها بالرخام الأبيض، وكسيت الجدران من الخارج بالرخام الأسود المُمَوّج، والحجر الصناعي، وكذلك من الداخل، مع تزيينها بزخارف إسلامية جميلة، ويبلغ عدد الأعمدة للطابق الواحد خمسمائة وثلاثين عموداً دائرياً ومربعاً، وجعل في هذه التوسعة أربعة عشر باباً، فبلغت بذلك أبواب المسجد الحرام خمسة وتسعين باباً.(١)

وأضيف لهذه التوسعة مبنيان للسلالم الكهربائية، ليصبح مجموع السلالم في المسجد الحرام تسعة سلالم كهربائية، عدا السلالم الثابتة الموزعة في جهات المسجد الحرام.

كما أحدثت ساحات كبيرة محيطة بالمسجد الحرام، وهيئت للصلاة، لاسيما في أوقات الزحام، وبلطت بالرخام البارد المقاوم للحرارة، وتم إنشاء مئذنتين في التوسعة الجديدة، ليصبح عدد مآذن المسجد الحرام تسع مآذن.

و من أبرز المشروعات التي تنفذها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله- تحقيقاً لراحة ضيوف الرحمن

(١) صحيفة المدينة المنورة ، العدد (١٨٨١٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مشروع توسعة المطاف ليستوعب أكثر من ١٠٥ آلاف طائف في الساعة بعد أن كانت طاقته الاستيعابية لا تزيد عن ٤٨ ألف طائف في الساعة، وهذا المشروع تحت التنفيذ حاليا، كذلك مشروع توسعة الحرم المكي الشريف وهي أكبر توسعة تتم على الإطلاق، والتوسعة التي يجري العمل على تنفيذها سوف تتم بشكل على المحور الرأسي والأفقي في آن واحد، وتوازي المساحة الحالية للحرم مع المحافظة على الطابع الحالي للمسجد، والطاقة الاستيعابية للتوسعة الجديدة في حدود مليون ومئتي ألف مصلّ،[1] وتبلغ التكلفة التقديرية لهذا المشروع نحو ٤٠ مليار ريال تقريباً، ومشروع توسعة الحرم النبوي الشريف (رأسيا وأفقيا) ليستوعب حوالي مليوني مصلّ، وهي أكبر توسعة تتم على الإطلاق، وتبلغ تكلفة هذا المشروع حوالي ١٥ مليار ريال، وتوسعة المسعى رأسياً وأفقياً، حيث أصبح عدد مستويات المسعى أربعة مستويات، بمساحة إجمالية تجاوزت ٨٧ ألف متر مربع، بعد أن كانت المساحة الإجمالية لا تتجاوز ٢٩ ألف متر مربع، وتوسعة منشأة الجمرات حيث أصبحت ستة مستويات (أرضي + أربعة أدوار+ بدروم) بعد أن كانت مستويين فقط (أرضي وأول)، مما زاد الطاقة الاستيعابية للراجمين لتستوعب حوالي ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل التوسعة، ولتساهم مساهمة فاعلة في ضبط إدارة الحشود البشرية في واحدة من أكثر المواقع ازدحاماً، وبلغت تكلفة هذا المشروع حوالي أربعة مليارات ريال، واستكمالا لهذا المشروع، فقد تم إنشاء العديد من الأنفاق والجسور التي تربط مختلف مناطق منى بهذه المنشأة والتي بلغت تكلفتها حوالي مليار

(١) صحيفة الرياض ، العدد (١٦٨٢٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ريال، كذلك مشروع قطار المشاعر الذي يهدف إلى تخفيف الازدحام المروري بتقليل عدد الحافلات، واختصار الفترة الزمنية للتنقل بين المشاعر المقدسة دون وجود أي عائق، وبلغت تكلفة الخط الجنوبي لهذا المشروع حوالي ستة مليارات تقريبا، ووجه الملك عبدالله – حفظه الله – بإنشاء الخط الشمالي وتجري حاليا الدراسات اللازمة لذلك، ومشروع النقل العام بمكة المكرمة والذي يربط مختلف مناطق مكة المكرمة بشبكة متكاملة ومتنوعة من وسائط النقل مثل :القطارات، المترو، الحافلات، السيارات، وتبلغ التكلفة المبدئية لهذا المشروع حوالي ٦٢ مليار ريال تقريبا[(١)].

لقد كان الهدف من تنفيذ هذه التوسعة العظيمة للمسجد الحرام، والمشاريع الأخرى في مكة المكرمة ، وإضافة كافة المرافق والخدمات الأخرى لهذا المعلم العظيم المقدس (المسجد الحرام) وما يحويه من الآيات العظيمة، وأعظمها الكعبة المشرّفة قبلة المسلمين، كان الغرض منه راحة الحجاج والمعتمرين، ليؤدوا مناسكهم بيسر وسهولة، ويَصِلُوا إلى أماكن العبادة دون مشقة، أو تكلّف، والقضاء على كافة الصعاب والعقبات التي كانت تواجههم في الأزمنة السابقة، ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾[(٢)].

(١) من الكعبة وإليها: بناء الإنسان وتنمية المكان ، خالد الفيصل ، صحيفة عكاظ ، العدد (٤٨٧٨).

(٢) سورة التوبة، آية (١٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثالث
الكعبة المشرفة

بعد أن ترك الخليل إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل، في مكانٍ قفرٍ، وأرض قاحلة موحشة لا ماءَ فيها ولا طعام، ولا أنيس، وودعهما وهو يقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[1].

وتبقى الأمّ ورضيعها، وينفدُ ما معهما من الماء والتمر، ثم يتفجر ماء زمزم، وتنتهي حقبة قاسية عصيبة من الجدب في ذلك المكان، وتتوالى السنون، وتموت هاجر، ويكبر طفلها، ويرجع الخليل إبراهيم عليه السلام إلى ذلك المكان، ويلتقي بولده الشاب، ويفضي إليه بما أمره الله تعالى به، من بناء بيته العتيق، بعد أن عرّفه بموقعه ومكانه[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾[3]، وعرض ذلك على ابنه إسماعيل، وقال له: «**إن الله قد أمرني أن أبني له بيتًا في هذه الربوة، وأشار إلى أَكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها، تأتيها السيول من كل النواحي ولا تعلو عليها**» رواه البخاري[4].

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٢) أضواء البيان ٤/ ٢٩٧.

(٣) سورة الحج، آية ٢٦.

(٤) صحيح البخاري (٣١٨٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبعد أن اتضحت للخليل أسس البيت وقواعده، شرع هو وابنه في تنفيذ ما أمره الله به مستعيناً به جل وعلا، وكان يبني، وابنه إسماعيل يهيئ ما يحتاج إليه، وينقل الحجارة على كاهله، وهما يدعوان الله تعالى، ويسألانه القبول والإعانة[١] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[٢]، ولما ارتفع البناء وعلا، وضعُفَ إبراهيم قال لابنه: التمس لي حجراً أقف عليه حتى أتمكن من إتمام ما بدأت، فجاءه بحجر المقام، ينقله من مكان إلى مكان، وهو قائم عليه، ويبني وإسماعيل يناوله الحجر، فجعلا يبنيان ويدوران حول البيت ويقولان[٣]: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[٤] حتى أكملا البناء وأتمّاه.

وقد جاء أن إبراهيم عليه السلام بعد أن فرغ من البناء، وكان قد دعا الله تعالى بقوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[٥]، جاءه جبريل عليه السلام وقال له: طُفْ بالبيت سبعاً، فطاف هو وإسماعيل، ثم صلَّيا خلف المقام ركعتين، ثم أراهما بقية المناسك، السّعي بين الصفا والمروة، والإفاضة من عرفات ومن مزدلفة، ورمي الجمار[٦].

(١) تفسير المنار ١/ ٣٨٣.
(٢) سورة البقرة، آية ١٢٧.
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٢٥٤.
(٤) سورة البقرة، آيه (١٢٧).
(٥) سورة البقرة، آية (١٢٨).
(٦) تفسير القرطبي ٢/ ١٢٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بأن ينادي في الناس أن يحجوا بيت الله الحرام، قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- "لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أوحى الله إليه أن أَذِّن في الناس بالحج، فقال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليّ البلاغ، فنادى: أيها الناس، ألا إن ربكم قد اتخذ بيتاً، وأمركم أن تحجوه، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله تعالى أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك، فليس أحدٌ يحج إلى يوم القيامة إلا ممن أجاب نداء إبراهيم عليه السلام"[(١)].

فبنى إبراهيم عليه السلام أفضل بناء، في أشرف البقاع والأماكن، في واد غير ذي زرع، ودعا لأهلها بالبركة، وأن يرزقهم الله من الثمرات مع قلة المياه، وعدم الأشجار والزروع والثمار، وأن يجعله حرماً محرماً آمناً، فاستجاب الله دعاء خليله، وسأل الله أن يبعث فيهم رسولاً من جنسهم، وعلى لغتهم الفصيحة البليغة، لتتمّ عليهم النعمتان الدينية والدنيوية سعادة الأولى والأخرى، فبعث الله تعالى فيهم رسولاً، هو أفضل الرسل وخاتمهم وأشرفهم، وأكمل له الدين، وآتاه ما لم يؤت أحداً قبله، وعمّ بدعوته أهل الأرض على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وتباين لغاتهم وصفاتهم في سائر الأمصار والأزمنة، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الذي كان يحبّ الكعبة، وينظر إلى السماء، ويرفع رأسه إليها إذا سلّم من صلاته، حين كان يستقبل بيت المقدس،

(١) مستدرك الحاكم ٢/ ٣٨٩ وصححه، السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يحبّ أن تحولّ القبلة نحو الكعبة، ويشتاق لأن يتجه إليها[١]، فنزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[٢]، فاختصت الكعبة المشرفة بفرضية التوجّه إليها في جميع الصلوات، فهي قبلةُ المسلمين في سائر أنحاء المعمورة، لا تصح صلاة أحد إلا باستقبالها[٣].

كما أن إحياءها بالطواف حولها ركن الحج والعمرة، وهي الموضع الوحيد على وجه الأرض الذي يشرع الطواف حوله تعبداً لله تعالى[٤] ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٥].

والكعبة أول بيت وضع للناس يعبد الله تعالى حوله، ويتجهون إليه[٦]، قال جلّ في علاه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[٧]، وقال أبو ذر -رضي الله عنه- سألت رسول الله ﷺ: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**» رواه البخاري ومسلم[٨].

ولقد عظّم الله تعالى هذا البيت، وأكّد على حرمته، وحذّر من

(١) تفسير الطبري ٢/ ٢٢.
(٢) سورة البقرة، آية (١٤٤).
(٣) المغني لابن قدامة ١/ ٤٣٣.
(٤) صلة الناسك ١٦٣.
(٥) سورة الحج، آية (٢٩).
(٦) جامع البان للطبري ٣/ ٦٤.
(٧) سورة آل عمران، آية (٩٦).
(٨) صحيح البخاري (٣١٨٦)، وصحيح مسلم (٥٢٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التعرض لقاصديه بسوء، وتوعّد كل من روّع فيه آمنًا، أو أخاف عنده عابداً،[١] ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢].

وبقي هذا البيت العظيم شامخًا ثابتًا، يقصده المسلمون ويحجون إليه كلّ عام تحرسه عناية الله تعالى، وتوعَّد جل وعلا كلّ من قصده بسوء أو أذى أن يذيقه أشد العذاب، وأقصى وأفظع العقاب[٣]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤].

ولعل أعظم الأحداث التي مَرّت على هذا البيت العتيق، والتي أهلك الله تعالى من قصده لهدمه وإزالته، تلك الحادثة التي سجلها القرآن الكريم، ونزلت بشأنها آياتٌ تُتلى إلى يوم القيامة، وهي ما جرى من أمر أصحاب الفيل، تلكم الحادثة التي كانت في السنة الأولى لولادة الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وتذكر المصادر التاريخية وكتب التفسير أنَّ أبرهة الأشرم الحبشي، ملك اليمن، بنى كنيسة بصنعاء، إلى جنب قصر غُمدان، وكانت من رخام أبيض وأحمر، وأسود وأصفر، وجدّ في بنائها، وتفنن في تزيينها وإحكامها، وجعلها مربعة مستوية الأضلاع، وجعل طولها ستين ذراعًا، وحلاَّها بالذهب والفضة، وحفّها بالجواهر، وسماها (القُلَّيْس)، وأمر الناس ودعاهم إلى الحج إليها، يضاهي بذلك البيت الحرام.

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٢٩٤.

(٢) سورة الحج، آية (٢٥)

(٣) زاد المعاد ٢/ ٤٣٤.

(٤) سورة الحج، آية (٢٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم كتب رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيتُ لك بصنعاء بيتًا لم يَبن العرب ولا العجم مثله لملك كان قبلك، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليه حجاج العرب، ويتركوا الحج إلى مكة[١].

فلما شاع هذا النبأ بين العرب، وبلغتهم الأخبار بما فعل أبرهة ونواه، غضب رجل من العرب من كنانة، فخرج حتى أتى البيت الذي بناه أبرهة، فأحدث فيه، ثم هرب، فلما دخل أبرهة رأى أثر ذلك، فقال: من صنع هذا واجترأ أن يفعله؟ فقال له أصحابه: هذا رجل من العرب، من أهل ذلك البيت الذي يحج العرب إليه بمكة، لمّا سمع قولك أنك ستصرف الحاج إليه. فغضب أبرهة، وقال: أفَعَلّي اجترأ بهذا؟ ونصرانيتي لأهدمنَّ ذلك البيت، ولأخربنّه حتى لا يحجه حاج أبداً[٢].

ثم إنه جهز جيشًا كبيراً، وخرج ومعه الفيل متجهًا صوب مكة، حتى وصل إلى المُغَمَّسِ بالقرب منها فنزل هنالك، ثم بعث أحد رجاله إلى مكة، فاستولى على أموال قريش وغيرهم من أهلها، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب، وهو كبير قريش وسيدهم، وهمت قريش وغيرها بقتاله، ثم تبين لهم أنهم لا قدرة لهم على مواجهته لكثرة عَدده وعُدده[٣].

وبعث أبرهة واحداً من جنده، وقابل عبد المطلب وقال له: إن الملك لم يأت لحربكم، ولا لقتال أحد، إنما جاء لهدم هذا البيت لما

(١) تفسير السعدي ١٨٨.

(٢) أخبار مكة للأزرقي١٣٦.

(٣) المصدر السابق، وتفسير ابن كثير ٨/ ٤٣٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أوجب على نفسه، لما صنع العرب بكنيسته، فإن صددتمونا عنه قاتلناكم، وإن تركتمونا هدمناه وانصرفنا عنكم.

ويقال إن عبد المطلب ذهب إلى الكعبة، وأخذ بحلقة الباب، وقام معه نفر من قريش، يدعون الله تعالى، ويستنصرونه[1]، وقال:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهمُ حماكا
إن عَدُوَّ البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضاً:

يا رب إن المرء يمنع ... رحله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليـ ... ـب، وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عَدْواً محالك
جَرُّوا جموع بلاده-م ... والفيل كي يسبوا هنالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلاً، وما رقبوا جلالك
فلئن تركتهم وكعبتـ ... ـنا، فواحزني هنالك

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وأمر أصحابه بالتعبئة، واستعدوا لاقتحام مكة ودخولها، وقدّموا الفيل كما كانوا يصنعون في الحروب، ووقف أبرهة كما كان يقوم في الحرب، يحيط به كبار القادة، ووجّهوا الفيل إلى مكة وكان لم يَسِرْ به قطّ إلى جمعٍ إلا هزمهم، فبرك الفيل، فضربوه ليقوم فامتنع، وشَرَّطُوه بالحديد، وقسوا عليه لينهض

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢١٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فأبى، ونخسوه بالرماح فلم يتحرك، ثم وجهوه إلى الجهات الأخرى فقام يهرول، فردوه إلى مكة فربض وتمرغ وتوقف عن المسير، وهكذا كلما وجهوه إلى مكة أناخ وبرك، وإذا وجهوه من حيث جاء أو إلى أيّ جهة أخرى طاوعهم وأسرع، ما لم يحملوه على التوجه إلى الحرم، ولم يزالوا كذلك، حتى أرسل الله عليهم طيراً من البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره، وحجران في رجليه بحجم الحُمُّصَة، لا يصيب أحداً منهم إلا هلك، فتساقطوا في كل مكان، وأهلكهم الله تعالى، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله، أنملة أنملة، حتى هلك[1].

وأنزل الله تعالى في ذلك سورة كاملة يقص فيها على نبيه ﷺ خبر أولئك، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[2]. أي يا محمد، ألم تنظر بعين قلبك، فترى بها كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، الذين قدموا من اليمن، يريدون تخريب الكعبة، ألم يجعل الله سعيهم في ضلال عما أرادوا وحاولوا من تخريبها، وأرسل عليهم ربك طيراً متفرقة ترميهم بتلك الحجارة من حجر وطين، حتى أصبحوا مُلقين على الأرض، كالتبن الذي أكلته البهائم، ثم أخرجته[3].

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الفيل .

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦١٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إن في ذلك لأعظم عبرة، وأكبر دليل على عظمة الله تعالى وشدة انتقامه، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد، وأقسى وأنكى، والله لا يحب الظالمين.

وبين عليه الصلاة والسلام، عظمة البيت الحرام، حين كان يطوف حول الكعبة، ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتك**». رواه ابن ماجه[(١)].

لقد بقيت الكعبة ومازالت وستظل بمشيئة الله تعالى موضع تعظيم الناس لها، وإجلالهم لقدسيتها وشرفها، لأن الله تعالى تعبّدهم بالتوجه إليها في صلاتهم، والطواف حولها، وتأمين الناس عندها، فهم يلتقون في رحابها من كل مكان، ويفدون من كل فج عميق، يتعارفون، وتتآلف قلوبهم، وتطمئن نفوسهم، وتقر أعينهم بالنظر إليها، فهي موضع احترامهم على مر العصور والأزمان، وقد اهتم بها ولاة المسلمين وأمراؤهم على مر السنين وتعاقب الأجيال، تعميراً وترميماً، وصيانة وكسوة، يحتسبون ذلك فخراً لهم وتشريفاً، وقد كساها سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، وكذا أصحابه رضي الله عنهم بعده، ثم خلفاء المسلمين وولاتهم[(٢)].

وفي العهد السعودي صبّ ولاة الأمر – حفظهم الله – جل اهتمامهم على العناية بشؤون الحرمين الشريفين، في كافة المجالات، ومن ذلك

(١) رواه الترمذي ٨٨٣، رقم (٣٩٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٥٣٦).
(٢) تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف: ٧٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اهتمامهم الفائق بالكعبة المشرفة، حيث خُصِّصَ مصنعٌ مستقلٌ لكسوة الكعبة المشرفة، يتم فيه صناعة الكسوة الخاصة ببيت الله العتيق، كما تم ترميم بنيان الكعبة وعمل إصلاحات عديدة لها، وكان ذلك شاملاً لبنائها الداخلي والخارجي وسقفها، واختيرت أفضل الخامات وأكثرها جودة وأحسنها وأثمنها، وذلك مع ما يتناسب وقدسية هذا البيت العتيق وعظمته[1]،

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[2].

(١) قصة التوسعة الكبرى ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، آية (٩٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الرابع
الحِجْر

الطواف بالكعبة المشرفة، من أركان الحج والعمرة، وقد ذكره الله تعالى في قوله جلّ وعز: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[1].

والحاج أو المعتمر، أو من يطوف تطوعاً، حين يَشْرَعُ في الطواف فإنه يبتدئ من الحجر الأسود، جاعلاً البيت عن يساره، ويختم بالحَجَر أيضاً، فإذا فعل ذلك احتسب له شوط كامل، فيستمر في طوافه حتى يكمل سبعة أشواط[2].

وكلٌّ مِنَّا حين يبدأ الطواف ويسير بضعة أمتار من الحَجَر الأسود، يشاهد على يساره جداراً قصيراً مستديراً، مغلفاً بالرخام الفاخر، على شكل نصف دائرة، شمالي الكعبة المشرفة، وطرفاه بمحاذاة ركنيها الشماليين، ومفصولان عن الكعبة بفتحتين من طرفيه، عرض كل منهما متران تقريباً.

والعامةُ تسميه بحِجْر إسماعيل، وهذه التسمية فيها نظر، إذ لم يرد نص أو أصل يعتمد عليه في صحة هذا المسمَّى[3].

والحِجْرُ الذي نشاهده الآن ونطوف من ورائه، ذكر بعض العلماء أنه كلّه من البيت، لما ورد في صحيح مسلم، عن عائشة -رضي الله عنها-

(١) سورة الحج (آية ٢٩).
(٢) صلة الناسك ١٦٦.
(٣) فتاوى الشيخ ابن عثيمين ١٢/ ٣٩٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قالت: سألتُ رسول الله ﷺ، عن الجَدْر، أمِنَ البيت هو؟ قال: «**نعم**»، قلت: فلم لم يُدْخِلوه في البيت؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ قومك قصّرت بهم النفقة**»، قلتُ: فما شأن بابه مرتفعاً؟، فقال: «**فعل ذلك قومك ليُدخِلُوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أن قومك حديثٌ عهدُهُم في الجاهلية، فأخاف أن تُنكر قلوبُهم، لنظرتُ أن أدخل الجَدْرَ في البيت، وأن أُلْزِقَ بابَه بالأرض**»[(١)].

وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً أن النبي ﷺ صرّح لها بأنه من البيت فقالت -رضي الله عنها-، كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأدخلني الحجر، وقال: «**صلي في الحِجْر إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك استقصروه حين بَنَوا الكعبة، فأخرجوه من البيت**» رواه الترمذي وصححه[(٢)].

فهذا والذي قبله يدلان بظاهرهما على أنّ الحِجر كُلّه من البيت، وقد كان عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- يفتي بذلك، إذ ورد عنه أنه كان يقول: (لو وليتُ من البيت ما ولي ابن الزبير، لأدخلتُ الحجر كله في البيت، فَلِمَ يُطَافُ به إن لم يكن من البيت) رواه عبد الرزاق[(٣)].

وروى مجاهد، قال: دخلت عائشةُ البيتَ ومعها نسوة، فأغلقت الحَجَبَةُ البيتَ دون النساء، فجعلن ينادين، يا أمَّ المؤمنين، فسمعتُ عائشة تقول: عليكُنَّ بالحِجْر فإنه من البيت[(٤)].

(١) صحيح مسلم (٣٢٤٩).
(٢) سنن الترمذي (٨٠) وصححه .
(٣) مصنف عبدالرزاق (٥٨٧٢).
(٤) الترمذي (١/ ١٦٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال أكثرُ العلماء: إنّ بعض الحجر من البيت لا كلّه[١]، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين، باباً شرقياً، وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة» رواه مسلم[٢].

وفي رواية «**فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلمي لأريك ما تركوا منه**»، فأراها، قريباً من سبعة أذرع. رواه مسلم[٣].

وفي صحيح مسلم[٤] عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: سمعت عائشة رضي الله عنها، تقول: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن الناس حديثٌ عهدُهم بكفر، وليس عندي من النفقة ما يقوّي على بنائه، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع**».

فهذه الأحاديث تدل على أن بعض الحجر من البيت، قال المحب الطبري: والأصح أن القدر الذي في الحجر من البيت قدر سبعة أذرع، والروايات التي جاء فيها أن الحجر من البيت مطلقة، فيحمل المطلق على المقيد، فإن إطلاق اسم الكل على البعض سائغ مجازاً[٥].

---

(١) بداية المجتهد ١/ ٣٤٢، المغني ٥/ ٢٣٥.

(٢) صحيح مسلم (٣٢٤٨).

(٣) صحيح مسلم (١٣٣٣).

(٤) صحيح مسلم (٣٢٤٩).

(٥) القرى لقاصد أم القرى ١٢٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيتضح من ذلك أن الحِجر كله ليس من البيت، وإنما بعضه، لكن ذكر العلماء أن مقدار ما من البيت سبعة أذرع، أو ستة أذرع، أو خمسة أذرع، تبعًا للروايات المتعددة الواردة في ذلك[١].

وكان رسول الله ﷺ يجلس في الحجر، ويشاركه بعض أصحابه رضي الله عنهم، فمن ذلك ما أورده الأزرقي في أخبار مكة[٢]، عن أسماء رضي الله عنها قالت: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[٣] جاءت أم جميل، امرأة أبي لهب، وهي تُولوِلُ وفي يدها حَجَر، ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس في الحِجْر، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فأقبلت وهي تقول: مُذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، فخاف أبو بكر على رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنها لن تراني**[٤]، **ثم قرأ قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾[٥].

ومن دلائل نبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام، كشفه للمؤامرة التي دُبرت لاغتياله بعد معركة بدر، وهو في المدينة، ونُسجت خيوطها في الحِجْر، فقد أورد البيهقي في دلائل النبوة، وغيرُه، أن رسول الله ﷺ لما رجع إلى المدينة منتصراً بعد بدر، ومعه أسرى قريش، وغنائمهم، وقتل

(١) هداية السالك لابن جماعة٢/ ٧٨٦.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ٣١٥.
(٣) سورة المسد، آية (١).
(٤) أضواء البيان ٣/ ١٦٠.
(٥) سورة الإسراء، آية (٤٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الله رؤوس المشركين، استقبله المسلمون بالمدينة يهنئونه بهذا النصر العظيم[١].

أما فلول المشركين التي عادت إلى مكة ذليلة منهزمة، تاركة وراءها القتلى على أرض بدر، وسبعين أسيراً هم في قبضة المسلمين بالمدينة، فأخذوا يتذاكرون هذا المصاب الأليم الذي وقع بهم، وكيف أصبحت مكانتهم بين العرب، حيث قَلَّت هيبتهم، وذهبت قوتهم، وانحطت منزلتهم.

ومن زعمائهم الذين أخذوا يذكرون مصائبهم، ما كان بين صفوان بن أمية، وعمير بن وهب حيث جلسا في الحِجْر، فقال صفوان: قُبّح لك العيش بعد قتلى بدر، فقال عمير: أجل، والله ما في العيش خير بعدهم، ولولا دَيْنٌ عَلَيَّ لا أجد له قضاء، وعيالٌ لا أَدَعُ لهم شيئًا، لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأتُ عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها، أقول: قدمتُ على ابني هذا الأسير[٢].

فلما سمع صفوان ذلك، فرح بقول عمير: وبادره قائلاً: عَلَيَّ دَيْنُكَ فأنا أقضيه، وعيالُك أسوةُ عيالي في النفقة، فجهزه صفوان بما يريد، وأمر بسيف عمير فصُقل وسُمّ، وسار عمير حتى وصل المدينة، ونزل بباب المسجد النبوي، وعقل راحلته، وأخذ السيف، وقصد رسولَ الله ﷺ، فنظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو في نفر من الأنصار يتحدثون، ففزع عمر عندما رأى السيف معه، ثم قام فدخل على رسول الله ﷺ

(١) دلائل النبوة ٣/ ١٤٧.

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة٣٦٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأخبره الخبر، فأمره بإدخاله، فلما دنا من النبي ﷺ، قال له: «**ما أقدمك يا عمير**»، قال: قدمت على أسير من عندكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فما بال السيف في عنقك؟**» قال عمير: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا يوم بدر، إنما نسيته في عنقي ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اصدقني ما أقدمك؟**» قال: ما قدمت إلا في أسيري، فقال ﷺ: «**فماذا شرطتَ لصفوان بن أمية، وأنتما في الحِجْر**» ففزع عمير، وقال: ماذا شرطتُ له، فقال عليه الصلاة والسلام: «**تحملتَ له بقتلي على أن يعول بنيك ويقضي دَيْنَك، والله تعالى حائلٌ بينك وبين ذلك**»[(١)]، فقال عمير: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، كنا يا رسول الله نكذبك بخبر السماء، وإن هذا الحديث كان سراً بيني وبين صفوان في الحِجْر، لم يطلع عليه أحدٌ غيرنا، فأخبرك به الله عز وجل، فآمنتُ بالله ورسوله، والحمد لله الذي ساقني هذا المساق. وفرح المسلمون بهذا.[(٢)]

وهكذا كشف الله تعالى لرسوله ﷺ مؤامرة اغتياله التي خُطط لها في الحِجْر بجوار الكعبة المشرفة.

ثم اعلم أيها القارئ، أنَّ الطواف لا يصح إلا إذا كان من خارج الحجر، و لا يصح من داخله، فإن من طاف بداخله لم يطف بجميع البيت[(٣)]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[(٤)].

(١) مجمع الزوائد٨/ ٢٨٧.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٧١ ،
(٣) المجموع للنووي ٨/ ٣٦.
(٤) سورة الحج، آية (٢٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والنبي ﷺ كان يطوف من خارج الحجر، وكذا خلفاؤه الراشدون وأصحابه رضي الله عنهم، ولم يُعرَف عن أحد منهم ولا عن من بعدهم أنه طاف من داخل الحجر، فمن فعل ذلك فإنه لا يعتد بالشوط الذي طافه من داخل الحجر ويأتي بشوطٍ بدله من وراء الحجر[1]، عملاً بهدي المصطفى ﷺ الذي أمرنا الله تعالى باتباعه والاقتداء به، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[2].

(١) المغني ٥/ ٢٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية (٢١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الخامس
الحَجَرُ الأسود

أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام ببناء البيت العتيق، وعرّفه مكانه، وشرع في تنفيذ ما أمر الله تعالى به، يُعِيْنُه في ذلك ابنه إسماعيل عليه السلام، فكان إبراهيم يبني، وينقلُ له إسماعيل الحجارة على عاتقه، فلما ارتفع له البنيان، قَرَّبَ له المقام، فكان يقومُ عليه ويبني، ويَحُوّلُه إسماعيل في نواحي البيت، حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود، فقال إبراهيم: يا إسماعيل اطلب لي حجراً أضعه هاهنا ليكون علامة للناس يبتدئون منه الطواف، فجاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود.

وروى ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**الحجر الأسود من الجنة وكان أشدّ بياضاً من الثلج حتى سوّدته خطايا بني آدم**» رواه الترمذي[1].

هذا الحجر الأسود المثبت في الركن الجنوبي الشرقي من الكعبة المشرفة، له مكانة سامية في قلوب المسلمين، تشتاق نفوسهم إلى رؤيته، وتحن أفئدتهم إلى لمسه وتقبيله، اقتداء بالمصطفى الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الذي كان يستلم الحجر الأسود ويقبله في ابتداء طوافه.

---

(١) سنن الترمذي (٨٧٧) وصححه .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعنه أيضـاً- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم -:

" لَيَأْتِيَنَّ هذا الْحَجَرُ يوم الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ،وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ على من يَسْتَلِمُهُ بِحَقٍّ" رواه ابن خزيمة وصححه(١).

وقد تعرض الحجر الأسود لحوادث ارتبطت به، من ذلك أن أمر الكعبة كان بيد قريش يتوارثونه جيلاً بعد جيل، وكابراً عن كابر، وحدث قبل البعثة النبوية، أن دخل سيلٌ عظيم الكعبة، فصدّع جُدرانها، ففكّرت قريش في نقضها وتجديد بنائها، وفعلوا ذلك وأعادوا بناءها من جديد(٢).

غير أنهم لما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود وتثبيته في مكانه الذي هو فيه، اختلفوا فيمن يضعه في محله ليكون له شرف إعادته في مكانه، واشتد الخلاف بينهم، حتى تعاقد بعضهم على الموت، ومكثوا على ذلك عدة أيام دون أن يتفقوا، ثم هداهم الله تعالى إلى طريقة اتفق فيها رأيهم، واجتمعت كلمتهم، على أن يحكُم بينهم في هذا الأمر، أول داخل عليهم من باب بني شيبة، ولم يكن يومها معروفاً بهذا الاسم، فبينما هم كذلك، إذ دخل المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه فرحوا، وقالوا: هذا الأمين، هذا الأمين، قد رضينا بما يقضي بيننا، فحكّموه في هذا الخلاف، وانقادوا وأذعنوا لرأيه، حيث بسط ـ عليه الصلاة والسلام ـ رداءه على الأرض ووضع الحجر في وسطه، وأمر سيّد كل قبيلة أن يأخذ بناحية من الثوب، ثم أمرهم أن يرفعوه جميعاً، فرفعوه حتى قرّبوه إلى موضعه، ثم

(١) صحيح ابن خزيمة (٢٧٣٥).
(٢) الرحيق المختوم ٥٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وضعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مكانه وقريش كُلُّها حضور[١]، وبذلك توصلت قريشٌ الى حل هذه القضية المعضلة التي عاشتها مكة وقتذاك، بفضل الله تعالى، ثم بهذا الاقتراح العظيم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي أسهم في حل مشكلة وضع الحجر الأسود في مكانه، التي كادت أن تؤدي إلى فتنة عظيمة[٢].

ومن الأحداث الشهيرة التي مرت في تاريخ الحجر الأسود، ما كان في أوائل القرن الرابع الهجري، في اليوم السابع من شهر ذي الحجة، سنة سبع عشرة وثلاثمائة للهجرة، فقد دخل عدو الله سليمان بن حسن القرمطي مكةَ، فاستباح حرمتها، وقتل الحجيج، وانتهب أموالهم، وسفك الدماء في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام وجوف الكعبة المشرفة، وأعمل سيفه في القائمين والطائفين، فأزهق الأرواح، وأسال الدماء، وروَّعَ الآمنين، وقتل نحواً من ثلاثين ألف نسمة[٣]، ولم يكتف بأعماله الشنيعة هذه، بل عمد إلى الحجر الأسود فاقتلعه من مكانه، وأخذه معه إلى بلاده، وبقي عندهم ما يقرب من اثنتين وعشرين سنة، ويقال أنه لما أخذه من مكة حمله أربعون جملاً هلكت تباعاً، فلما أعيد كان على جمل واحد أوصله إلى مكة[٤].

وقد أَخَّرَ الله تعالى عقوبتهم ليوم تشخص فيه الأبصار، والله تعالى يمهل ويملي ويستدرج، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَلَا

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٧٢، صحيح السيرة النبوية للألباني٤٤.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٥٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٣.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١٨٣ ، أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٢٢٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[١]، وقال جل في علاه: ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٢].

لقد أجمعت الأمة على أن استلام الحجر الأسود وتقبيله سُنَّة[٣]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «**كان رسول الله ﷺ لا يَدَعُ أن يستلم الركن اليماني والحجرَ الأسود في كل طوفة يطوفها**» رواه أبو داود[٤].

وقد قبّل عمر رضي الله عنه، الحجر الأسود، ثم قال: «والله إنيّ لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتُك» رواه مسلم.[٥]

وإنما قال الفاروق رضي الله عنه ذلك، حتى لا يغتر بهذا التقبيل بعض من أَلِفَ في الجاهلية عبادة الأحجار تعظيماً ورجاءً بقصد طلب شفاعتها، فأخبر - رضي الله عنه - أن الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع، وإنما قَبَّلَهُ اقتداءً بالنبي ﷺ، وأشاع عمر رضي الله عنه هذا ونشره بين الناس في موسم الحج، ليحفظه عنه أهل الموسم القادمون من كل مكان.

وما أجمل ما قيل[٦]:

الحجرُ الأسودُ قبّلتُه ... بشفتي قلبي وكُلي وَلَه

(١) سورة إبراهيم، آية (٤٢).

(٢) سورة يونس، آية (٧٠).

(٣) صلة الناسك ١٥٤ ، بداية المجتهد ١/ ٢٤٨.

(٤) سنن أبي داوود (١٨٧٢).

(٥) صحيح البخاري (١٥٢٨) ، صحيح مسلم (١٢٧٠).

(٦) المغني ٥/ ٢٠٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لا لاعتقـــادي أنـــه نـــافعٌ ... بـــل لاقتـــدائي بالـــذي قبّلـــه
محمـــدٌ أطهـــرُ أنفاســـه ... كانـت علـى صـفحته مُرسـلَه
قَبّـــله والنـــور مـــن ثغـــرهِ ... يشـــرقُ آيـــاتِ هـــدىً مُنْزَلَـــه

فإذا وصل المحرم إلى الكعبة، ابتدأ طوافه من الحجر الأسود، ليحسب شوطًا بطوافه حول الكعبة دورة واحدة، إلى أن يصل إلى الحجر الأسود مرة ثانية، جاعلاً البيت عن يساره، وقبل شروعه في الطواف يقصد الحجر الأسود ويستقبله، ثم يستلمه بيمينه، ويقبّله إن تيسّر له ذلك، ويقول عند استلامه: باسم الله، والله أكبر، اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ.[١]

فإن لم يتمكن الطائف من تقبيله لشدة الزحام، وخشي إيذاء إخوانه الحجاج، استلمه بيده، ثم قبّلها، فإن شق استلامه بيده أشار إليه، وقال: الله أكبر، ولا يقبّل المُشار به من يده أو شيء من غير مسّ الحجر به، لعدم ورود ذلك صحيحًا.[٢]

ولا ينبغي التزاحمُ لتقبيل الحجر الأسود، فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام، قال لعمر: «**يا أبا حفص إنك رجلٌ قوي، فلا تزاحم على الركن فإنك تؤذي الضعيف، ولكن إن وجدتَ خلوةً فاستلمه وإلا فكبّر وامض**» رواه أحمد[٣].

(١) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ٢٥.
(٢) المجموع ٨/ ٦٢.
(٣) مسند أحمد (٢٥٤٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا يجوز للنساء المزاحمة، أو كشف وجوههن عند تقبيل الحجر الأسود، إذا كان يراهن الرجال الأجانب.

وكلما حاذى الطائفُ الحجرَ الأسود والركن اليمانيّ استلمهما إن تيسر له ذلك[١]، ويقول بينهما: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢].

ويجب التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمحافظة على سنته، فإنه لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، وما يفعله البعض من استلام جميع جدران الكعبة، والتمسح بها وتقبيلها، كلّ ذلك خطأ وجهل منهم، لأن العبادات توقيفيّة يجب الوقوف فيها على ما ورد في الكتاب والسنة، وعدم تجاوزهما، أو الزيادة على ما جاء فيهما[٣]: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[٤].

(١) بداية المجتهد ١/ ٢٤٨.
(٢) سورة البقرة، آية (٢٠١).
(٣) صلة الناسك ١٧٤.
(٤) سورة الحشر، آية (٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث السادس

مقام إبراهيم عليه السلام

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم، مقام خليله إبراهيم عليه السلام في موضعين، أحدهما : قوله جل وعز: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1]. والثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2].

وجاء ذكر المقام في الآيتين بعد أن بيّن جلّ في علاه عظمة بيته العتيق، وشَرَفه وقَدْرَه ومكانته.

ولنقف عند تاريخ وأحكام مقام إبراهيم الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى:

أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم - عليه السلام - عند بنائه البيت، فإنه لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل - عليه السلام - بالحجر ليقف عليه، ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، وكلما أكمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى، يطوف حول الكعبة، وهو واقف عليه، كلما فرغ من ناحية نقله إلى الناحية التي تليها، وهكذا حتى أتم جُدران الكعبة[3].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان (٩٥ - ٩٦).

(٣) فتح الباري ٦/ ٤٠٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال بعضهم[١]: إنه الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام مناديـاً للحج، حين أمره الله تعالى بذلك في قوله جل وعلا: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾[٢].

الوقفة الثانية:

أن مقام إبراهيم كان ملاصقاً للكعبة، فإنّ إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت ألزق المقام به، وبقي في موضعه ذلك حتى زمن النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، ثم إن عمر رضي الله عنه رفعه من ذلك الموضع، ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن ،فمكانه الحالي هو مكانه من زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وعمر إنما أعاده إلى مكانه لما ذهب به سيل أم نهشل[٣].

الوقفة الثالثة:

جاء في صحيح البخاري[٤]، عن أنس رضي الله عنه، أن عمر رضي الله عنه، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مصلّى، فأنزل الله تعالى قوله جل في علاه: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٥].

وروى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر رضي الله عنه، فمر به على المقام، فقال له: «**هذا**

(١) أخبار مكة للفاكهي ١/ ٤٤٦.
(٢) سورة الحج، آية (٢٧).
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٧١ -١٧٢.
(٤) صحيح البخاري (٣٩٣).
(٥) سورة البقرة، آية (١٢٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مقام إبراهيم»، فقال: يا نبي الله ألا نتخذه مصلّى؟ فنزلت الآية[١].

ونقل الحافظ ابن حجر[٢] عن ابن الجوزي أنه قال: إنما طلب عمر الاستئناس بإبراهيم عليه السلام مع النهي عن النظر في كتاب التوراة، لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٤] فعلم أنّ الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة.

الوقفة الرابعة:

أن أثر قدمي إبراهيم عليه السلام وأصابعه، كانت واضحة على الحَجَر، فإنه لما وقف عليه صار كالطين، فغاصت قدماه فيه وكان حافياً غير منتعل، وقد كانت باقيةً مشاهدة في المقام، معروفة عند أهل مكة، وفي ذلك يقول أبو طالب:

ومـوطئ إبـراهيم في الصـخر على قدميـه حافيـا غيـر ناعـل

قال أنس رضي الله عنه: رأيت المقام فيه أصابع إبراهيم، وأخمُص قدميه، غير أن الناس أذهبوه بمسح أيديهم حتى انمحت تلك الآثار[٥].

---

(١) جامع البيان للطبري ٣/ ٢٨.

(٢) فتح الباري ٨/ ١٦٩.

(٣) سورة البقرة، آية (١٢٤).

(٤) سورة النحل، آية (١٢٣).

(٥) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ٢٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوقفة الخامسة:

أن الله تعالى ذكر أن هذا المقام من الآيات، في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[(١)]، حيث ذكر بعض المفسرين[(٢)]، أن الحرم كلّه مقام إبراهيم، وقال آخرون: الآيات: منهن المقام، والحجر، وقال مجاهد: أثر قدمي إبراهيم في المقام آية بينة.

قال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - معنى الآية[(٣)]: إن أول بيت وضع للناس مباركًا وهدى للعالمين، للذي ببكة، فيه علاماتٌ بيناتٌ من قدرة الله تعالى، وآثار خليله إبراهيم منهن أثر قدم خليله إبراهيم ﷺ في الحجر الذي قام عليه.

الوقفة السادسة:

أن الله تعالى أمر بالصلاة عند هذا المقام، فقال عز وجل: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[(٤)] أي: صلّوا عنده تعبداً لله تعالى، وتكرمةً لإبراهيم.

وقد أشار عمر رضي الله عنه بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن موافقًا لرأي عمركما تقدم قبل قليل.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يصلي ركعتين خلف المقام، بعد فراغه من الطواف، قال جابر رضي الله عنه، في وصف حجة المصطفى عليه الصلاة والسلام: حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن،

(١) سورة آل عمران، آية (٩٧)

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٧٠٨.

(٣) جامع البيان للطبري ٣/ ٢٨.

(٤) سورة البقرة، آية (١٢٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقرأ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت. رواه مسلم[١].

فصلاة الحاج أو المعتمر أو المتطوع بعد طوافه ركعتين خلف مقام إبراهيم، سنة من سنن الطواف، فمتى ما فرغ من طوافه صلاَّهما حتى لو وافق ذلك وقتاً من الأوقات المنهي عنها؛ لأن هذه الصلاة من ذوات الأسباب، فتصلى في كل وقت، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**يا بني عبد مناف، من ولي منكم من أمر الناس شيئاً، فلا يمنعن أحداً طاف بهذا البيت، وصلّى أي ساعة شاء من ليل أو نهار**» رواه الترمذي وصححه.[٢]

وممّن صلّى بعد العصر لطوافهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس، وابن عمر، والحسن، والحسين، وعبد الله بن الزبير، وصلى ابن عمر وابن الزبير ركعتي الطواف بعد صلاة الصبح رضي الله عنهم أجمعين[٣].

والسنة أن يقرأ في الركعة الأولى بـ (الكافرون)، وبالثانية بسورة الإخلاص لحديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقرأ في الركعتين، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

لكن إن لم يتيسر للحاج أو المعتمر الصلاة خلف المقام، صلى في أي مكان شاء من الحرم، ولا يعمد إلى مزاحمة إخوانه ومضايقتهم، ويُصر على الصلاة خلف المقام، فإن ذلك من الأذى للآخرين، بل إن

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٨٧.
(٢) سنن الترمذي (٨٦٨) وصححه .
(٣) المجموع ٨/ ٥٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

البعض يلتفون خلف المقام على هيئة مجموعات هنا وهناك، ويدفعون إخوانهم الحجاج ويؤذونهم، ويسبب ذلك إعاقة الطائفين، وعدم قدرتهم على السير وإكمال الطواف، وهذا ليس من أدب المسلم الذي ينبغي أن يتحلّى بالرأفة واللين والرفق، ثم إن الدين يسرٌ لا حرج فيه، فمن صلاهما في أي موضع أجزأه وصحت صلاته.[١]

كما أن بعضهم لا يكتفي بركعتين، بل يصلّي عدة ركعات، وهذا مخالفٌ للسنة مع ما فيه من شغل المكان الذي يحتاج الناس إلى الصلاة فيه.

ومما ينبغي التنبيه عليه، أنه لا يجوز التمسح بالزجاج الدائري المحيط بمقام إبراهيم، فإن ذلك بدعة ومدعاة للوقوع في الشرك، قال قتادة رحمه الله[٢]: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٣]: إنما أمروا أن يصلّوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلّفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، قال: ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقب إبراهيم عليه السلام وأصابعه فيه، فمازالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

(١) المغني ٢/ ٥١٧.

(٢) جامع البيان للطبري ٣/ ٣١.

(٣) سورة البقرة، آية (١٢٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث السابع
بئر زمزم

ورد في الحديث الصحيح، أن الشرب من ماء زمزم، والتروّي منه، يغني عن الغذاء والطعام، ويشفي من الأمراض والأسقام، ففي صحيح مسلم[1]، في قصة إسلام أبي ذر-رضي الله عنه- أنه لما لقي النبي ﷺ بمكة، قال له عليه الصلاة والسلام: «**متى كنتَ هاهنا**» ؟ فقال أبو ذر: قد كنتُ هاهنا منذ ثلاثين، بين يوم وليلة، قال: «**فمن كان يُطعمك؟**»، قال: قلت ما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم، فسَمِنتُ حتى تكسّرت عُكَنُ بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها مباركة إنها طعام طعم**» وفي لفظ لأبي داود: «**إنها مباركة، وهي طعام طعمٍ، وشفاء سقمٍ**».

ويحرص كل من يدخلُ المسجد الحرام على الشرب من ماء زمزم، لما له من مزية خاصة، انفرد بها عن سائر المياه، فتجد المسلمين ينهلون منه، ويُقبِلون عليه إقبالاً شديداً، ويتزودون منه، اقتداءً بنبيهم ﷺ.

وترجع قصة بداية ظهور ماء زمزم على وجه الأرض، منذ زمن بعيد، حين ترك إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر، وابنها إسماعيل في مكان

(١) صحيح مسلم (٦٣٥٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قاحل، وصحراء جرداء موحشة، لا ماء بها ولا أنيس، وأبقى عندهما شيئًا من التمر وسقاءً فيه ماء[١].

فكانت أم إسماعيل تُرضعُ طفلها، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا لم يبق منه شيء عطشت وعطش ابنُها، وبلغت الشفقة منها مبلغًا عظيمًا، وهي تنظر إلى رضيعها يتلوى، ويبكي بكاءً شديداً من شدة العطش، فكرهت أن تراه على ذلك المشهد المؤلم، وتلك الصورة المبكية.

لقد ألقت ببصرها في كل اتجاه، وتطلعت بعينيها إلى كل ناحية، فرأت جبل الصفا أقرب جبل إليها، فانطلقت نحوه، وصعدته، حتى أشرفت من أعلى الجبل على الوادي، فلم تر أحداً فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت بطن الوادي، سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً، فلم تبصر مخلوقًا أمامها[٢].

لقد كررت أمُ إسماعيل هذا المشهد سبع مرات، وفي المرة الأخيرة، سمعت -وهي على المروة-صوتًا، فإذا هي بالملك يبحثُ بجناحه عند موضع زمزم حتى ظهر الماء، ففرحت هاجر بما آتاها الله من فضله، وأمسكت بالإناء، وجعلت تغرف وتملأ الإناء، والماء يفور من تحت قدمي ولدها كلما غرفت في الإناء.[٣]

(١) زاد المعاد ٤/ ٣٥٦.

(٢) أخبار مكة للفاكهي ٢/ ٦٦.

(٣) المصدر السابق ، والبداية والنهاية ١/ ٢٣٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال عليه الصلاة والسلام: «**يرحم الله أمَّ إسماعيل، لو تركت زمزم**»، أو قال: «**لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً**» رواه البخاري[١]، فشربت وأرضعت ولدها، وقال لها الملك مطمئناً لها: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيتاً لله، يبنيه هذا الغلام وأبوه.

لقد أخذت زمزم تفيض بالماء، واستمرت تجود بمائها، وتسقي كل وارد عليها، سنة بعد أخرى، وجيلاً بعد جيل، فكم تعاقب عليها من خلق الله، وكم ورد عليها من البشر، ولا تزال تفور بمائها المبارك، واشتهرت بأسمائها ا لعديدة، فيقال لها، بركة، ونافعة، وصافية، وبشرى، وميمونة، ومباركة، ومُرْوية، وطاهرة، وهزمةُ جبريل؛ لأنه ضربها بجناحه فنبع الماء[٢]، قالت صفية[٣] عمة رسول الله ﷺ:

نحن حفرنا للحجيج زمزما ... شفاء سقم وطعام مطعما
ركضة جبريل ولما تعظما ... سقيا نبي الله في المحرّما
ابن خليل ربنا المكرَّما

إن لماء زمزم خاصية فريدة، ولذلك غسل به قلب النبي ﷺ مرتين، الأولى في صغره، حين شق جبريل صدره، فاستخرج قلبه وغسله بماء زمزم، والثانية في كبره عليه الصلاة والسلام، قبيل حادثة الإسراء والمعراج[٤].

(١) صحيح البخاري (٢٣٦٨).
(٢) شفاء الغرام ١/ ٢٥١.
(٣) أخبار مكة للفاكهي ٢/ ٦٣.
(٤) صحيح مسلم (٢٦١)، ودلائل النبوة للبيهقي١/ ١٣٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

روى جابر h «أن النبي ﷺ رمل ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر، ومشى أربعا، وصلى ركعتين، ثم عاد إلى الحجر، ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصبّ على رأسه، ثم رجع فاستلم الركن...» رواه مسلم(١).

وفي حجته ﷺ، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما - «أنه عليه الصلاة والسلام، طاف على بعيره ثم أناخه بعد طوافه، فصلى ركعتين». رواه البخاري(٢).

قال الحافظ ابن حجر : فلعله حينئذ شرب من زمزم، قبل أن يعود إلى بعيره، ويخرج إلى الصفا، بل هذا هو الذي يتعين المصير إليه. انتهى كلامه رحمه الله(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «سقيت رسول الله ﷺ من زمزم». رواه البخاري(٤).

وقالت أم أيمن، حاضنة النبي ﷺ، إنه عليه الصلاة والسلام، ما شكا جوعًا قط ولا عطشًا، كان يغدو إذا أصبح، فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضنا عليه الغذاء، فيقول: (أنا شبعان)(٥).

وتظهر بركة ماء زمزم، على من صح صدقُه، وحسُنت نيته، كما جاء عنه ﷺ، أنه قال: «**ماء زمزم لما شرب له**» . رواه ابن ماجه والبيهقي(٦).

(١) صحيح مسلم (١٢٧٠).
(٢) صحيح البخاري (٢٩٥٠).
(٣) فتح الباري ١٠/ ٨٥.
(٤) البخاري (١٦٣٧) مسلم (٢٠٢٧).
(٥) الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ١٣٩.
(٦) سنن ابن ماجه (٣٠٦٢) وصححه الألباني ، السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٤٨،

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أي: أن الشارب لماء زمزم، إن شربه لشبع أشبعه الله، وإن شربه لريٍ أرواه الله، وإن شربه لشفاء من مرض شفاه الله، وإن شربه لضيق صدره شرح الله صدره، فهو بأي نية يشرب وفّى الله له بذلك.

قال الإمام النووي رحمه الله[1]: يستحب لمن شرب ماء زمزم للمغفرة أو الشفاء من المرض، أو نحو ذلك، أن يقول عند شربه: (اللهم إنه بلغني أن رسول الله ﷺ، قال: «**ماء زمزم لما شرب له**» اللهم وإني أشربه لتغفر لي، ولتفعل بي كذا وكذا، اللهم إني شربته مستشفياً فاشفني، وهكذا).

إن الشرب من ماء زمزم والحصول عليه، أصبح سهلاً ميسوراً، فإذا أردت أن تشرب منه، لن تجد صعوبة في ذلك، ففي أي جهة أو مكان في المسجد الحرام، أو المسجد النبوي الشريف تجد هذا الماء مبرداً مهيئاً في حافظات خاصة، قد أعدّ لشرب الحجاج والمعتمرين والزوار، بكميات كبيرة، وعلى مدار اليوم والليلة في العام كله، يشرب منه المسلمون، ويرتوون منه ويدعون لمن ذلل لهم الصعاب، ويسر لهم السبل، وسهل لهم الطرق، ووفر لهم هذا الماء بين أيديهم، لا يتكلفون عناء البحث عنه والنزول إليه، فجزى الله حكومة بلاد الحرمين الشريفين خيراً على أن وفرت هذا الماء، إنها خدمة جليلة تضاف إلى الخدمات الأخرى الكثيرة، التي هُيئت للعناية بحجاج بيت الله الحرام، وتسهيل كافة السبل لراحتهم واطمئنانهم.

(١) المجموع للنووي ٨/ ٢٤٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثامن

المسعى

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ذكر الله جلّ وعلا في هذه الآية، شعيرتين من الشعائر التي جعلها أعلامًا للناس، ومَعْلَمين من المعالم التي شرع لعباده ذكره عندهما، وعبادته، وأداء ما فرضه عليهم.

أولهما: (الصفا):

وأصله في اللغة: الحجر الأملس[2]، وهو الجبل الذي يبتدئ الحاج أو المعتمر السعي منه، وهو في أصل جبل أبي قبيس[3]، وقد ورد ذكره على ألسنة الشعراء فمن ذلك:

كأن لم يكن بين الحجون إلى أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر

والصفا هو الجبلُ الذي رقى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم، مناديًا قومه بمكة، حين أمره الله تعالى بدعوة عشيرته، وتحذيرهم من عذاب الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية:

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٨).

(٢) الصحاح للجوهري ٦/ ٢٤٠١.

(٣) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ١/ ٨٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[١] خرج رسول الله ﷺ، حتى صعد الصفا، فهتف:

(يا صباحاه)، فقالوا: من هذا الذي يهتف، قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب»، فاجتمعوا إليه فقال لهم: «أرأيتكم، لو أخبرتكم، أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّـًا لك، أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: {تبت يدا أبي لهب وتب }[٢] رواه البخاري ومسلم[٣].

وأما المروة:

فهي نهاية السعي، وهي جبل صغير مرتفع في أصل جبل قعيقعان[٤]، وبين هذين الجبلين شرع السعي الذي هو ركن الحج والعمرة،[٥] وهو المراد بقوله جل وعلا: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[٦].

وسبب مشروعية السعي، ما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن إبراهيم عليه السلام جاء بهاجر وابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة

(١) سورة الشعراء، آية (٢١٤).
(٢) سورة المسد، آية (١).
(٣) صحيح البخاري (٤٨٠١)، صحيح مسلم (٥٠٨).
(٤) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١١٣.
(٥) المغني ٥١٩٣.
(٦) سورة البقرة، آية (١٥٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، وذهب، وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد الماء، عطشت وعطش ابنها، وانقطع حليبها، واشتد جوعُ ابنها، فجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي لتنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «**فذلك سعي الناس بينهما**» رواه البخاري[(١)].

في الآية السابقة جاء قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(٢)]، أي لا حرج عليه ولا إثم يناله في طوافه وسعيه بينهما[(٣)]، وفي صدر الآية قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[(٤)]، وهذا وإن كان ظاهرهُ ظاهر الخبر، فإنه في معنى الأمر بالطواف بهما، لذا قال بعض العلماء: كيف يكون أمراً بالطواف ثم يقال: لا جناح على من حج البيت أو اعتمر في الطواف بهما؟.

(١) صحيح البخاري (٣٣٦٤).
(٢) سورة البقرة، آية (١٥٨).
(٣) معالم التنزيل للبغوي ١/ ١٧٣.
(٤) سورة البقرة، آية (١٥٨)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أجاب الإمام الطبري -رحمه الله- بقوله[١]: إن النبي ﷺ، لما اعتمر عمرة القضاء، ومعه أصحابه رضي الله عنهم، تخوّف بعضهم ممن كانوا يطوفون بهما -أي بالصفا والمروة- في الجاهلية قبل الإسلام، لصنمين كانا عليهما تعظيماً منهم لهما، فقالوا: وكيف نطوف بهما، وقد علمنا أن تعظيم الأصنام وجميع ما كان يُعبد من دون الله شرك؟، ففي طوافنا بهذين الحجرين شيء، لأن الطواف بهما في الجاهلية إنما كان للصنمين الذين كانا عليهما، وقد جاء الله بالإسلام، فأنزل الله تعالى الآية: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٢].

أي : أن الطواف بالصفا والمروة، وهو السعي من معالم الله، التي جعلها علماً لعباده، ويعبدونه عندهما بالسعي بينهما، ويذكرونه عليهما وعندهما بما هو أهلٌ له من الذكر، ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ فلا حرج عليه ولا يتخوفن من الطواف بهما، من أجل ما كان في الجاهلية، فإن أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفراً، وأنتم تطوفون وتسعون بينهما إيماناً بالله، وطلباً للأجر والثواب، وتصديقاً لرسول الله ﷺ، وطاعة لأمر الله عز وجل، فلا تتحرجوا من السعي بينهما[٣].

ونقل عن الشعبي - رحمه الله - أنه قال: إن وثناً كان في الجاهلية على الصفا، يسمى (إسافاً)، ووثناً على المروة يسمى (نائلة)، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت، مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام، وكسرت

(١) جامع البيان للطبري ٣/ ٢٢٨.
(٢) سورة البقرة، آية (١٥٨).
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأوثان، قال المسلمون: إن الصفا والمروة، إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من المشاعر، قال: فأنزل الله تعالى، إنهما من الشعائر[١].

لقد أصبح مقرراً في مناسك الحج، أن السعي ركن لا يتم الحج ولا العمرة إلا بفعله، وقد سعى النبي ﷺ في حجه، وعُمَرِه الأخرى التي اعتمرها[٢]، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**» . رواه مسلم[٣].

وكان من هديه ﷺ، أنه إذا فرغ من الطواف صلّى خلف المقام ركعتين، ثم عاد إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم توجه إلى المسعى، فإذا اقترب من الصفا، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وقال: «**أبدأ بما بدأ الله به، ويصعد على الصفا، ثم يستقبل القبلة، حتى إذا رأى البيت وَحَّدَ الله، وكبّره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم يدعو رافعاً يديه، بما تيسّر من الدعاء، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات**» رواه مسلم[٤].

فإذا فرغ من الذكر والدعاء، نزل من الصفا متجهاً إلى المروة، حتى إذا وصل العلامة الخضراء أسرع في المشي، وهرول إلى أن يصل نهاية العلامة الخضراء الأخرى، ثم يستمر في مشيه حتى يصل المروة، ويقول عندها ويفعل مثل ما قال وفعل على الصفا، ثم ينزل متجهاً إلى

(١) جامع البيان للطبري ٣/ ٢٣٠.
(٢) صلة الناسك٢٠٢.
(٣) صحيح مسلم (١٢٩٧).
(٤) صحيح مسلم (٢٩٥٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الصفا، ويسرع في موضع الإسراع حتى يصل إلى الصفا، ويكرر ذلك سبع مرات، ذهابه سعية، ومجيئه سعية، فإذا أتم السبع فقد كمل سعيه[١].

إن المسعى من أعظم المشاعر والمعالم التي يلتقي فيها المسلمون، ويجتمع عليها الحجاج والمعتمرون، لتأدية عبادة من العبادات الشرعية التي كلفهم الخالق جل وعلا بها.

لقد كان هذا المعلم على مر العصور والأزمان مفصولاً عن المسجد الحرام، بحيث لا يصل إليه من أراد السعي إلا بعد أن يخرج من المسجد الحرام، وحتى يصل إليه لابد أن يجتاز ممراً فاصلاً بين المسجد والمسعى، وبقي على هذا الحال إلى أن تمت توسعة المسجد الحرام بحيث وصلت التوسعة إلى المسعى، وضم في العهد السعودي الزاهر إلى المسجد الحرام، وأصبحا متصلين في بناية واحدة.

ولشدة اهتمام الدولة السعودية بكل ما يتعلق بالحرمين الشريفين، ولحرصها على تهيئة سبل الراحة والتيسير لحجاج بيت الله الحرام والمعتمرين، فقد تم بناء دور علوي للمسعى، بحيث يسعى الحجاج والمعتمرون من أي دور شاؤوا، وكان لهذا العمل أثر كبير في تخفيف الزحام الذي كان يواجهه الساعون في الدور الأرضي، كما تم إنشاء ممرين للعربات التي تحمل الساعين من العجزة والمعاقين وكبار السن، وتم تبليط أرضية المسعى بأنواع الرخام الفاخر، وجهز بالإضاءة والإنارة والمراوح، وزود بالمكيفات التي تخفف حرارة الجو، وتلطف الهواء،

(١) المجموع ٨/ ٩٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويعتبر المسعى أطول رواق من نوعه في العالم، إذ يبلغ طوله ما يقرب من أربعمائة متر، وعرضه عشرين متراً، ويبلغ ارتفاع الدور الأرضي منه أحد عشر متراً وخمسة وسبعبن سنتيمتراً، والدور العلوي ثمانية أمتار ونصف المتر، وعدد أبوابه ستة عشر باباً، منها أحد عشر باباً في الجانب الشرقي وخمسة أبواب في الجانب الغربي، كما توجد سبع فتحات بين المسعى والمسجد الحرام، ومائتان وثمانية وعشرون شباكاً على جانبيه للتهوية.[1]

وانطلاقا من رغبة المملكة العربية السعودية في خدمة الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن جاء أمر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- بتطوير المسعى بوقت قياسي لم يتجاوز السنتين، ليسهل على ضيوف بيت الله أداء نسكهم في أجواء روحانية، وفي طراز معماري فريد يراعي عظمة المكان وحرمة المشاعر وسلامة الحجاج والمعتمرين وحاجات الزوار المختلفة حتى يؤدوا نسكهم في راحة وطمأنينة، وليعودوا بذكرى إيمانية لا تفارق أذهانهم.

وبطراز معماري فريد نفذت أعمال البناء في توسعة المسعى في وقت قياسي باستخدام أحدث تقنيات وأنظمة البناء الحديث. وتعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لمسعى المسجد الحرام أكبر توسعة يشهدها المسعى في تاريخه في مشروع متميز يهدف لتسهيل مناسك الحجاج والمعتمرين مراعيا الاعتبارات الشرعية والجغرافية.

وجاءت التوسعة الجديدة لتضاف إلى إنجازات سابقة فقد زاد عرض المسعى الكلي إلى الضعف، فبعد أن كان عرض المسعى ٢٠ مترا

(١) الحرمان الشريفان خلال مائة عام ٨٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تمت توسعته ليصل إلى ٤٠ مترا، مستغلا المساحات الملاصقة للحرم وبلغ عدد الطوابق ٤ طوابق بمساحة إجمالية تجاوزت ٨٧ ألف متر مربع، بعد أن كانت المساحة الإجمالية تقارب ٢٩ ألف متر مربع، أي بزيادة تجاوزت ٤٣ ألف متر مربع قبل التوسعة، فيما تبلغ مسطحات البناء الإجمالية بكافة الأدوار لمناطق السعي والخدمات حوالى ١٢٥ ألف متر مربع، وهو ما يعني بالتأكيد تخفيف الازدحام بشكل ملحوظ، وبالتالي ضمان سلامة الحجاج والمعتمرين.

جاءت التوسعة التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مهتمة بأدق التفاصيل حيث يوفر هذا الإنجاز الكبير لزوار بيت الله الحرام ٣ أدوار و٤ مناسيب للسعي تتصل مباشرة بأدوار التوسعة السعودية الأولى للحرم، فيما يرتفع دور سطح المسعى الجديد عن أدوار الحرم الحالي ويتم الوصول إليه عن طريق سلالم متحركة ومصاعد، إضافة إلى ٣ جسور علوية، وممر للجنائز من قبو المسعى إلى الساحة الشرقية عبر منحدر ذي ميول مناسبة لتوفير الراحة[1].

وبهذه الإضافات والتحسينات التي عُمِلَت في المسعى، خفَّ الازدحام الذي كان يواجهه المسلمون في سعيهم، وبخاصة في موسم الحج والعمرة، فجزى الله كل من أمر بذلك أحسن الجزاء، وحفظ لبلاد الحرمين الشريفين ولاة أمرها، وحرس هذه البلاد من كل سوء ومكروه.

(١) صحيفة عكاظ ، العدد (٤٤٠٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث التاسع
مِنى

مِنى هي المكان الذي يُسَن للحاج أن يتوجه إليه بعد إحرامه بالحج في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، ويُصلي فيها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء والفجر، ويَقصُرُ الرُّباعية منها، وهي الموضع الذي يرمي فيه الحجاج الجمرات، ويبيتون ليالي أيام التشريق فيها.

ومِنىً بكسر الميم، والتنوين، لفظٌ مقصور، وقد وردت عدة أقوال لتسميتها بذلك فقال بعضهم: سميت (مِنىً) لكثرة ما يُمنى ويراق فيها من الدماء أيام النحر، وقيل: إن جبريل عليه السلام حين أراد أن يفارق آدم عليه السلام، قال له: تمنّى، فقال: أتمنّى الجنة، فسميت (منىً) لأمنية سيدنا آدم فيها[1].

وقد ورد ذكر (مِنىً) على ألسنة الشعراء كثيراً، فمن ذلك، قول أحدهم[2]:

ولما قضينا من مِنىً كلّ حاجةٍ ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

ومنى داخلةٌ في حرم مكة، وحدّها من الشرق طرف وادي محسّر،

(١) الصحاح للجوهري ٦/ ٢٤٦٨.
(٢) أخبار مكة للفاكهي ٤/ ٢٦٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهو الوادي الذي يفصل بينها وبين مزدلفة، وليس الوادي منها، ومن الغرب جمرة العقبة وليست هذه الجمرة من منى، ومن الشمال الجبل المسمى (القابل)، ومن الجنوب، الجبل المسمى (الصايح)، وما أقبل من الجبال المحيطة بمنى جهتها فهو منها، وما أدبر فليس منها.

ويبلغ طولها من طرف وادي محسّر إلى جمرة العقبة ثلاثة كيلو مترات، وثلاثمائة وسبعة وثلاثين متراً، وعرضها من الجزء الشمالي ما يقرب من ستمائة وسبعة وثلاثين متراً، أما الجزء الجنوبي فإنه أوسع من ذلك بكثير حيث يمتد بطول وادي محسر، من العلامة التي بين القصرين غرباً حتى أعلى نفق المُعَيصم شرقاً، وهي تقارب خمسة أكيال وقد تزيد، أي أن مساحتها تبلغ قريباً من عشرين ومائة وألفي كيلو متر مربعاً[1].

لقد كانت منى في السابق، عبارة عن وادٍ عظيم بين الجبال، ويتصل بتلك الجبال عقبات وممرات وعرة، وطرق شائكة، وربوات مرتفعة، وأكوام من الحجارة المتكدسة على سفوح الجبال.

وحين شرّف الله تعالى هذه الدولة المباركة، بخدمة الحرمين الشريفين، والمشاعر المقدسة، تم إزالة كل العوائق من العقبات والطرق الوعرة والحجارة، وتم تهيئة سفوح الجبال بإزالة كل ما يعيق نصب الخيام؛ حيث هُيئت مساحات واسعة، كما تم شق الطرق الواسعة، وحفر الأنفاق العديدة في الجبال، لتسهيل حركة المشاة والسيارات من مكة إلى منى، ومن منى إلى مكة، وإلى بقية المشاعر الأخرى.

(١) معجم الأمكنة ٤١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فمنى وحدودها المذكورة، هي التي سن رسول الله ﷺ للحاج يوم الثامن أن يتوجه إليها قبل الزوال بعد لبس إحرامه، ويصلي فيها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء والفجر، يقصر الرباعية منها، ثم يتجه بعد صلاه الفجر إلى عرفات[١].

ومنى هي التي يجب المبيت بها ليالي أيام التشريق، وقد قال عمر رضي الله عنه: لا يبيتن أحد من الحاج ليالي منى من وراء العقبة.

وفيها الجمار الثلاث، التي يجب على الحاج أن يرميها بدءاً من اليوم العاشر، وهو يوم النحر، حيث يجب في هذا اليوم رمي جمرة العقبة[٢].

ورمي الجمار من المناسك التي قام بها إبراهيم عليه السلام، فإنه دعا الله تعالى بقوله: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[٣]، فأتاه جبريل -عليه السلام- بعد أن رفع القواعد من البيت، وأراه الصفا والمروة ـ وقال له: هذه من شعائر الله، ثم ذهب به إلى الجمرة فعرض له الشيطان، فقال له جبريل: يا إبراهيم: كبّر وارمه، فأخذ سبع حصيات وكبرّ ورماه، حتى ساخ الشيطان في الأرض، ثم ظهر له عند الجمرة الثانية، ففعل مثل ما فعل عند الأولى، وكذا ظهر له عند الثالثة فكبر ورماه أيضاً[٤].

وقد رمى رسول الله ﷺ الجمرات في حجته، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**» رواه مسلم[٥].

---

(١) هداية السالك ٣/ ١٢٠٦.

(٢) المجموع ٨/ ٢٢٧.

(٣) سورة البقرة، آية (١٢٨).

(٤) أخبار مكة للفاكهي ٤/ ٢٨٤.

(٥) صحيح مسلم (١٢٩٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ففي يوم النحر، وبعد أن صلى الفجر بالمزدلفة، وعند انصرافه منها، أمر أن يلتقط له الحصى، فالتقط له سبع حصيات لرمي جمرة العقبة، ولمّا وصل منى قطع التلبية ووقف عند الجمرة الكبرى، حيث جعل الكعبة عن يساره، ومنى عن يمينه، فرماها بسبع حصيات، ثم في اليوم الأول من أيام التشريق، وهو اليوم الحادي عشر، وكذلك اليوم الثاني عشر واليوم الثالث عشر، رمى عليه الصلاة والسلام الجمرات الثلاث بعد الزوال، في كل يوم من الأيام الثلاثة، يبدأ بالجمرة الأولى وهي الصغرى التي تلي مسجد الخيف فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، يرفع يده عند كل حصاة، ويُسن أن يتأخر عنها، ويجعلها عن يساره، ويستقبل القبلة ويرفع يديه، ويكثر من الدعاء والتضرع، ثم يتوجه إلى الجمرة الوسطى فيرميها كالأولى، ويسن أن يتقدم قليلاً بعد رميها ويجعلها عن يمينه، ويستقبل القبلة ويرفع يديه، فيدعو كثيراً، ثم يتجه إلى الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة، ويرميها ولا يقف عندها[(١)].

ويفعل في اليومين التاليين الثاني عشر والثالث عشر مثل ما فعل في اليوم الحادي عشر، ومن أي مكان التقط حصى الجمار أجزأه ذلك، ولا يستحب غسل الحصى بل يرمي به دون أن يغسله، فلم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا نُقِلَ الغَسلُ عن أصحابه رضي الله عنهم، وحجمُ الجمرةِ أكبر من الحمّصة قليلاً، ولا يشترط أن تبقى الحصاة في المرمى، بل لابد من علمه بوصولها إلى المرمى، فإذا رمى الشاخصَ ثم خرجت منه أجزأه ذلك[(٢)].

ويوم النحر، هو أول يوم من أيام منى حيث ترمى جمرة العقبة

(١) صلة الناسك ٢٨٨.

(٢) المغني ٥/ ٣٢٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وحدها فيه، وهو اليوم الذي خطب فيه رسول الله ﷺ خطبته الشهيرة، التي قال فيها:

«**إن الزمان قد استدار كهيئته، يوم خلق الله السموات والأرض، السّنة اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حرم، ثلاثٌ متواليات، ذو القَعْدة، وذو الحِجَّة، والمحرم، ورجبُ مُضر الذي بين جمادى وشعبان**».

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**أي شهر هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال أبو بكرة رضي الله عنه: فسكتنا، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «**أليس ذا الحجّة؟**» قلنا: بلى، قال: «**فأيّ بلدٍ هذا**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، وسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس البلدة؟**»، قلنا: بلى، قال: «**فأي يوم هذا ؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، وسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس يوم النحر؟**»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربّكم، فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضُكم رقابَ بعض، وليبلغ الشاهدُ منكم الغائبَ**» رواه البخاري ومسلم[(١)].

وفي منى نحر رسول الله ﷺ هديه، حيث أهدى عليه الصلاة والسلام مائة بدنة، ونحر ثلاثاً وستين منها بيده الشريفة، ثم أكمل عليٌ h نَحْرَ ما بقي منها، وفي أي مكان نَحَرَ الحاجُّ من منى أجزأه، لقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن نحر الهدي: «**نحرت هاهنا ومنىً كلها منحر، فانحروا في رحالكم**». رواه مسلم[(٢)].

(١) صحيح البخاري (٣٦٩) ، وصحيح مسلم (١٣٤٧).
(٢) صحيح مسلم (١٢١٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي منى وقف رسول الله ﷺ يجيب أصحابه، عمّا أشكل عليهم من أعمال يوم النحر، حيث قدّم بعضهم الحَلْق على الرمي، أو النحر على الرمي، أو الحَلْق على الذبح، قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: وقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله، لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اذبح ولا حرج**»، وجاءه آخر فقال: يا رسول الله لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمي، فقال: «**ارم ولا حرج**»، فما سئل عليه الصلاة والسلام عن شيء قدّم ولا أخّر، إلا قال: «**افعل ولا حرج**»، متفق عليه[1].

لقد أصبحت منى في أيام الحج -ولله الحمد والمنّة- مدينة متكاملة المرافق، قد هُيئ فيها كلُّ ما يحتاجه الحاج، ووُفِّر فيها ما يسهل عليه أداء نسكه، فالمياه متوفرة بكميات كافية، للغسل والوضوء والشرب، والمراكز الصحية منتشرة في كافة نواحيها، تقدم العلاج والأدوية اللازمة لكل من يطلبها مجانًا، وسائر الخدمات التي تهم الحاج قد وفرت بما يكفي أكثر من مليوني حاج يجتمعون على أرض منى أيام الحج، حتى يتسنى لهم أداء أعمال الحج والمناسك دون عناء أو تعب، وذلك من الأعمال الجليلة التي تقدمها هذه الدولة المباركة خدمة لضيوف الرحمن، فجزاها الله أحسن الجزاء، وجعله في موازين حسنات ولاة الأمر القائمين على تسهيل كافة متطلبات ضيوف الرحمن.

(١) صحيح البخاري (٨٣)، وصحيح مسلم (١٣٠٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث العاشر
عَرَفَات

عن جابر- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ وقف في حجته عند الصخرات وقال: «**وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة**» رواه مسلم[1].

عرفات: اسم مفرد جاء على صيغة الجمع، وهي الموضع الذي يقف المسلمون فيه يوم التاسع من ذي الحجة من كل عام.

وسبب تسميتها بعرفات أقوال عديدة، منها:

ما ورد عن عطاء -رحمه الله-، قال: إنما سميت عرفات، لأن جبريل -عليه السلام-كان يُري إبراهيم -عليه السلام- المناسك فيقول له: عرفتَ يا إبراهيم، فيقول عرفتُ، وفي كل مرة يعرّفه بالمشاعر، يقول له عرفتَ؟ فيقول عرفتُ، فسميت **(عرفات)**.

وقيل: سميت بذلك، لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة. وقيل: سميت بذلك لأن الناس يقرّون ويعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف العظيم، وكلّها أقوال وتعليلات مجتهد فيها لم يرد نص يعتمد عليه في ذلك[2].

---

(١) صحيح مسلم (٣١١٠).

(٢) معجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ٣١٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد ورد ذكر (عرفات) على ألسنة الشعراء، فمن ذلك قول أحدهم[١]:

حتى أتوا حيث يكون الموقف ... بعرفات وبها المعرّف
يومٌ به إبليس غاوٍ يهتف ... مما يرى من صرف ما يُصرّف
من رحمة الله التي لا توصفُ ... ومن عطاء الله ما لا ينزِفُ
طوبى لأهل الحج يوم أوجفوا ... بصالح الأعمال عما أسلفوا

وعرفات أرض منبسطة مستوية، وميدانٌ واسع تحيط بها سلسلة جبال على شكل قوس كبير.

والوقوف بعرفات ركن من أركان الحج لا يتم إلا به؛ لقوله ﷺ: «**الحج عرفة**»[٢].

وفي أي بقعة وقف الحاج على أرض عرفات، وفي أي جزء من أجزائها كان واقفاً أو راكباً فقد صح وقوفُه، ولابُدّ للحاج أن يتأكد من وقوفه داخل حدود عرفات[٣].

ولعرفات علامات واضحةٌ اليوم، إذ بُين حدّها من كل جهة من جهاتها.

وحدّها الشمَالي: ملتقى وادي (وصيق) بوادي (عُرنَة) في سفح جبل سعد.

وحدّها الغربي، وادي (عُرَنَة)، ويمتد هذا الحدُّ الغربي من محاذاة وادي

(١) أخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٢٥.
(٢) رواه ابن خزيمة وصححه "٤/ ٢٥٧"، رقم "٢٨٢٢".
(٣) المغني ٥/ ٣٥١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

(عُرَنة)، واجتماعه بوادي (وصيق) إلى أن يحاذي جبل (نمرة)، ويبلغ طول هذا الضلع خمسة آلاف متر، وهذا الوادي فاصل بين الحرم وبين عرفات.

والحدّ الجنوبي: ما بين الجبال الجنوبية لعرفات.

والحد الشرقي: الجبالُ المقوّسة على ميدان عرفات، ابتداءً من الثنية التي تَنفُذُ إلى طريق الطائف، وتستمر سلسلة تلك الجبال حتى تنتهي بجبل سعد [١].

فوقوف الحاج يجب أن يكون منحصراً داخل الحدود المذكورة، في أي مكان منه، ولا يلزم أن يعمد إلى الصخرات، ويقف عندها، أو يذهب إلى الجبل المسمى بجبل الرحمة، فإن في ذلك مشقة شديدة، وعناءً وتعباً، إذ قد يتعرّض للإرهاق والضياع، وربما تاه عن رفقته ولم يستطع العودة إليهم، والنبي ﷺ أخبر أن عرفة كلها موقف.

كما أنّ السّنة للحاج عند دعائه يوم عرفة أن يستقبل القبلة، ويخُطئُ بعضهم حين يستقبلون جبل عرفة، وقد تكون القبلةُ خلف ظهورهم أو على أيمانهم أو شمائلهم، فينبغي الحرص على استقبال القبلة حال الدعاء[٢].

ويجب أن يقف الحاج في عرفات زمن الوقوف المحدد، والوقتُ الذي أجمع عليه العلماء هو من زوال الشمس يوم عرفة إلى طلوع الفجر من ليلة النحر، فإن النبي ﷺ وقف بعد الزوال وقال: «**خذوا عني مناسككم**» رواه مسلم[٣].

(١) الاختيارات لابن بسام: ٢/ ٤٢٣.
(٢) المجموع ٨/ ١١١.
(٣) صحيح مسلم (١٢٩٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي أي لحظة وقف ليلاً أو نهاراً، فقد أدرك الوقوف، لحديث عروة بن مُضّرس رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى صلاة الصبح، فقلت: يا رسول الله، جئت من جبل طي، أكللتُ راحلتي، وأتعبتُ نفسي، فهل لي من حج؟.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد كان وقف بعرفة قبل ذلك، ليلاً أو نهاراً فقد تم حجُّه وقضى تفثه**» . رواه أحمد وأصحاب السنن[(١)].

ويجب أن يجمع الحاج في وقوفه بين النهار والليل، فإن وقف في عرفة نهاراً ثم دفع قبل الغروب، فإن عاد إلى عرفة قبل الغروب صح حجّه، وإن غابت الشمس قبل أن يعود صح حجّه وعليه دم، لأنه ترك الواجب وهو الجمع بين الليل والنهار.

والنبي ﷺ، استقبل القبلة، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب قرص الشمس، فأردف أسامة خلفه، ثم دفع من عرفة إلى مزدلفة.

وهذا اليوم، يوم عرفة، يومٌ عظيم، يومُ مغفرة الذنوب، يومُ العتق من النار، يوم يجتمع المسلمون فيه من كل مكان على أرض الموقف بمشهد مهيب، كلهم يرجو المغفرة والعفو من الربّ العظيم الوهاب، يأملون أن ينصرفوا وقد غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم[(٢)].

(١) سنن الترمذي (٨٩١) وصححه .

(٢) هداية السالك ٣/ ١١٠٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيوم عرفة، يومٌ أكمل الله فيه الدين وأتمَّ فيه النعمة، وَرَدَ أن رجلاً من اليهود، قال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، آيةٌ في كتاب الله تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.

فقال عمر رضي الله عنه: وأي آية؟ فقال: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، فقال الفاروق رضي الله عنه: «إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة يوم جمعة». رواه البخاري ومسلم[2].

والله تعالى يتفضّل على عباده في هذا اليوم العظيم، ويفيض عليهم بالرحمات، ويباهي بهم ملائكته، روت عائشة رضي الله تعالى عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء**» رواه مسلم.[3]

فيستحب للحجاج وغيرهم الإكثار من الدعاء والذكر، قال ابن عباس –رضي الله عنهما –: كان من دعاء النبي ﷺ في حجة الوداع: «**اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المغرور المعترف بذنبه، أسألك مسألة المساكين، وأبتهل إليك ابتهال**

(١) سورة المائدة، آية (٣).

(٢) صحيح البخاري (٤٦٠٦)، وصحيح مسلم (٧٥٢٥).

(٣) صحيح مسلم (٣٢٨٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، مَنْ خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرتُه، وذلّ لك خدّه، ورغم لك أنفُه» رواه الطبراني[(١)].

وليكثر من الاستغفار، والذكر، والحمد، والثناء، والتوبة، والخضوع لرب العباد، والتذلل له، والخشوع لعظمته، والانطراح بين يديه، وليستمر على ذلك، ويعترف بذنوبه وتقصيره، فإن الله تعالى غفور رحيم، عفوٌ لطيف يقبل توبة عبده، إذا عرف منه حسن النية، وصدق اللهجة، وتاب توبةً نصوحًا، وعزم على استقبال ما بقي من أيام عمره، وسني حياته، واستغلالها بالطاعة والأعمال الصالحة، وتوظيفها في مرضاة سيّده وخالقه.

هذا المَعْلَمُ العظيم، والمكانُ الشهير أرضُ عرفات، وصعيدُها الواسع، الذي يتوافد المسلمون إليه في كل عامٍ من سائر أقطار المعمورة، لنتأمل، ولنقف معه، وقفات للذكرى والعبرة، كم من الأمم وقفت على هذه الأرض، عبر العصور الماضية، والأزمان السالفة، والقرون المتوالية، والأجيال المتلاحقة، والأمم السابقة.

كم من الجموع الغفيرة، والأعداد الهائلة العظيمة، غصّت بهم فِجَاج عرفات، وازدحمت بهم سهولها، ووطأت أقدامهم ثراها، وهم في لباس واحد، وزي ثابت، وهيئة لا تتغير كل عام في يوم عرفة، قد تجرّدوا من المخيط، شعثًا غبراً، يجأرون إلى خالقهم ويسألونه العفو والغفران، والعتق من النيران، والفوز بنعيم الجنان.

(١) الطبراني في المعجم الصغير (٦٩٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الحادي عشر
المَشْعَر الحرام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[1].

أمر الله تعالى الحجاج بذكره والثناء عليه عند المشعر الحرام.

والمشعر الحرام: جبل صغير يقع في الجنوب الشرقي من مزدلفة يشرف على المسجد المقام الآن فيها، وقد ثبت أن النبي ﷺ، وقف على هذا الجبل وسمّاه، ففي حديث علي رضي الله عنه أنه ﷺ وقف على قُزَح، وقال: «**هذا قُزَح، وهو الموقف، وجمعٌ كلُّها موقف**». رواه أبو داود[2].

وسُمي بالمشعر، لما فيه من الشعائر وهي معالم الدين وطاعة الله تعالى، والحرام: أي الذي يحرم فيه الصيد وغيره فإنه من الحرم، ويجوز أن يكون معناه ذو الحرمة، كذا قال الإمام النووي رحمه الله.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (١٩٨ -١٩٩).

(٢) سنن أبي داوود (١٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٩٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمشعر الحرام، جزءٌ من مزدلفة، وقال بعضهم: بل هو مزدلفة كلها، فالمشعر الحرام مرادف للمزدلفة، فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: المشعر الحرام، مزدلفة كلها[(١)].

وسأل رجلٌ عبدَ الله بنَ عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن المشعر الحرام فقال: إن اتّبعتنا أخبرتك أين هو، قال: فاتَّبعتُه، فلما دفع من عرفة، ووضعت الجمال أيديها في الحرم قال: أين السائل عن المشعر؟ قلت: هو ذا، قال: الآن دخلت فيه، قلت: إلى أين؟ قال: إلى أن تخرج منه[(٢)].

ومزدلفة هي المكان الذي يجتمع فيه الحجاج ليلة العاشر من ذي الحجة، بعد إفاضتهم وانصرافهم من عرفات، ويبيتون فيها تلك الليلة، والمبيت بها واجب من واجبات الحج.

وقد اختلف في تسميتها بهذا الاسم، فقيل: مزدلفة: منقولة من الازدلاف، وهو الاجتماع، ولذلك سميت أيضاً (جمع)، قال ﷺ: «**وجمع كلها موقف**» [(٣)] رواه مسلم.

وحدود المزدلفة، من الشرق مفيضُ المَأْزِمَيْنْ، وهما الطريقان الضيقان بين الأخشبين، وهو طريق يصل بين عرفة ومزدلفة، وقد (سُفْلِت) اليوم وجعل له ثلاثة مسارات، يُعرفُ أحدُها بطريق المشاة.

وحدّها من الغرب مما يلي مِنى، طرف وادي محسر الشرقي فالوادي يفصل بينها وبين مِنى، أما عرضُها، فهي واقعة بين الجبلين الكبيرين،

(١) أخبار مكة ٢/ ٢٣٢.
(٢) أخبار مكة للفاكهي ٤/ ٢٣٥.
(٣) صحيح مسلم (١٢١٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشَّمالي منهما يقال له: ثَبير، والجنوبي يسمى بجبل المريخيات.

والمسافة من مفيض المأزمين من الشرق إلى طرف وادي محسر من جهة مزدلفة أربعة آلاف وثلاثمائة وسبعون متراً [١].

وقد هُيئت هذه المساحة لمبيت الحجاج فيها تلك الليلة، حيث تم تسوية الأرض، وإزالة ما فيها من الحجارة والمعوِّقات، وجعلت فيها مسارات خاصة للسيارات، وأضيئت كافة أجزاء مزدلفة بالأضواء الكاشفة، وزودت بدورات المياه وأماكن الوضوء، ووفرت المياه، وكافة الخدمات التي يحتاجها الحجاج ، وعلى الحاج أن يتأكد من حدود مزدلفة، وأن لا يكون مبيته خارجها.

فإذا وصل الحاج إلى مزدلفة من عرفات، صلى المغرب والعشاء، جمعًا وقصراً، يصلي المغرب ثلاث ركعات، والعشاء ركعتين، يؤذن أذانًا واحداً، ويقيم لكل صلاة، وتكون صلاته عند وصوله، سواء وصل وقت صلاة المغرب، أو بعد دخول وقت العشاء، لحديث أسامة رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ أردفه من عرفات، قال: «دفع رسول الله ﷺ من عرفة، حتى إذا كان بالشعب نزل فبال، ثم توضأ، فقلت له: الصلاة يا رسول الله، فقال: **الصلاة أمامك**، فركبت، فلما جاء المزدلفة، نزل فتوضأ، فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئًا» متفق عليه [٢].

---

(١) الاختيارات لابن بسام:٢/ ٤٢٥.

(٢) صحيح البخاري (١٦٦٦) ، وصحيح مسلم (١٢٨٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي حديث جابر الطويل في وصف حجة النبي ﷺ قال: «حتى أتى رسول الله ﷺ المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يُسبح بينهما شيئًا» رواه مسلم(١).

فإذا صلى الحاج المغرب والعشاء، ينبغي له أن يحرص على التبكير في النوم حتى يستيقظ نشيطًا يؤدي أعمال يوم النحر، من الرمي والنحر والحلق والطواف والسعي دون مشقة أو إرهاق، ولا يحيي ليلة المزدلفة بصلاة ولا قيام، فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء من ذلك(٢)، وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: «لما أتى رسول الله ﷺ المزدلفة صلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئًا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر»(٣).

فالحاج بحاجة إلى الراحة، وأخذ قسط وافر من النوم بعد أعمال يوم عرفة، لأن أمامه من الغد أعمال أخرى تحتاج إلى جهد وعمل.

قال ابن القيم – رحمه الله –:" ثم نام رسول الله ﷺ حتى أصبح، ولم يُحْيِ تلك الليلة، ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء". أ. هـ(٤).

ويجوز للضعفة من النساء والصبيان وذوي الأعذار، أن يدفعوا من مزدلفة إلى منى بعد منتصف الليل(٥).

---

(١) صحيح مسلم (١٢٨٠).

(٢) صلة الناسك٢٤٥.

(٣) صحيح مسلم (١٢٨٦).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٢٤٧).

(٥) هداية السالك ٣/ ١٠٥١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: «كنت ممن قدّم رسول الله ﷺ من ضعفة أهله من المزدلفة إلى منى». متفق عليه[١].

وفي رواية أن النبي ﷺ نهاهم عن رمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس يوم النحر، فقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: قدمنا رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أغيلمة بني عبدالمطلب فجعل يلطح أفخاذنا ويقول: «**أُبَيْنِيَّ لا ترموا الجمرة، حتى تطلع الشمس**» رواه أبو داود[٢].

ويجوز لمن يُشرف على الضعفة وأهل الأعذار، ويقوم بشؤونهم ورعايتهم والعناية بهم، أن يدفع معهم قبل الفجر، فإذا وصلوا الجمرة، رماها الضعفاء والعاجزون ولا يرميها الأقوياء من المرافقين ونحوهم حتى تطلع الشمس[٣].

أما بقية الحجاج فيبقون في مزدلفة ويبيتون فيها، حتى إذا طلع الفجر، وصلوا صلاة الصبح، وقفوا عند المشعر الحرام، واستقبلوا القبلة وأكثروا من الذكر والدعاء.

وفي حديث جابر –رضي الله عنه– قال: «ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر، حين تبين له الصبح، بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله تعالى

(١) صحيح مسلم (٣١٢٢).
(٢) سنن أبي داوود (١٩٤٠).
(٣) المجموع ٨/ ١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكبره، وهللّه، ووحّده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس..». رواه مسلم[١].

واستحب بعض العلماء أن يقول عند المشعر الحرام[٢]: اللهم كما وفقتنا فيه، وأريتنا إياه، فوفقنا لذكرك كما هديتنا، واغفر لنا وارحمنا، كما وعدتنا بقولك، وقولك الحق: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[٣].

والذهابُ إلى المشعر الحرام أو الاقتراب منه أو صعوده، ليس واجبًا بل هو سنة، فإن تيسّر وإلا ففي أي مكان وقف في مزدلفة أجزأه[٤]، لقوله ﷺ: «**وجمع ـ أي مزدلفة ـ كلها موقف**»[٥] رواه أبو داود.

وقد أقيم الآن مسجدٌ كبير، معروف بمسجد المشعر الحرام، وكانت بداية عمارته في سنة ألف وثلاثمائة وخمس وتسعين للهجرة، واستغرق بناؤه خمس سنوات، فكان طرازاً معمارياً رائعاً، حيث أنشئ مستطيلَ الشكل، طوله مائة متر تقريباً، وعرضه ستون متراً، ومساحته ستة آلاف متر مربع، ومتوسط ارتفاع جدرانه ثمانية أمتار، وتم فرش المسجد وإنارته، وزود بكل ما يحتاجه المصلون.

---

(١) صحيح مسلم (١٢٨٦).
(٢) صلة الناسك ٢٥٢.
(٣) سورة البقرة، الآيتان (١٩٨ - ١٩٩).
(٤) المجموع ٨/ ١٥٣.
(٥) سنن أبي داوود (١٩٣٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم إن الحاج إذا ذكر الله تعالى عند المشعر ووقف، فإنه يستحب له أن يستمر على الذكر والدعاء، حتى يُسفِر جداً ثم ينصرف قبل طلوع الشمس إلى منى.

والتقاط حصى الجمار الذي ترمى به جمرة العقبة، لا يتعين أن يكون من مزدلفة، بل الأمر واسع في التقاطه من مزدلفة أو منى، لأنه لم يثبت أن النبي ﷺ لقط الحصى من مزدلفة[١].

وعلى الحاج وقت انصرافه من المزدلفة إلى منى، أن يكثر من التلبية ويرددها، وأن يكون مَشْيُهُ بسكينة لا يؤذي أحداً من إخوانه الحجاج، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول للناس حين انصرافه: «**عليكم السكينة، عليكم السكينة**» رواه أبو داود[٢].

فإذا استمر في سَيره، وبلغ وادي محسّراً -وهو الفاصل بين مزدلفة ومنى- استُحبّ له الإسراع في المشي، وسمي محُسراً، لأن فيل أصحاب الفيل، حَسَرَ فيه، أي توقف عن المسير[٣].

ويستمر الحاج في تلبيته حتى يصل إلى مِنى، فيرمي جمرة العقبة، بسبع حصيات متعاقبات، ويقطع التلبية عند ابتداء الرمي، ثم ينحر هديه، ثم يحلق رأسه ويتحلل، ويتجه بعد ذلك إلى مكة ليطوف طواف الإفاضة.

(١) المغني ٥/ ٢٣١.
(٢) سنن أبي داوود (١٩٣٢).
(٣) صلة الناسك ٢٥٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني عشر
غار حراء

كانت مكة قبل مبعث النبي ﷺ تعُجُّ في شِرْكياتها، وكان أهلها غارقين في ظلام الوثنية، وكانت قريش تعبد الأصنام وتعظمها، قد هوت إلى أدنى المستويات، وغرقت في وحل تقديس الأوثان، والعناية بها، والدفاع عنها، والدعوة إليها، وتقريب القربات لها.

ولذا رأى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هذه الحالة التي كان عليها قومه، فلم يعجبه ذلك، ولم يَرُقْ لفؤاده مناظر أولئك وهم يقدّسون أوثانهم وأصنامهم، إذ كيف لهذه المعبودات من دون الله، وهي التي لا تعقل شيئًا، ولا ترى ولا تسمع، كيف لها أن تنفع هؤلاء أو تضرهم، فلم يسجد في حياته لصنم قط، ولم يتقرب لأي منها، بل إنه كان لا يطيق رؤيتها أو البقاء حولها، أو العيش في ذلك الجو المفعم بالوثنية[1].

وكان يذهب خارج مكة، يأخذ معه طعامه وشرابه، ويصعد إلى غار حراء في جبل النور يتعبد فيه، قبيل بعثته، كلما جاء شهر رمضان، يتفكر فيما حوله من الكون والخلق، ويقرر في نفسه أن خالق هذه المخلوقات، وتلك الموجودات، خالق عظيم، أوجدها وأبدعها، وهو المستحق للعبادة وحده، وتحدّثه نفسه أن لو جاء الحق والهدى

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٨٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الذي تطمئن إليه القلوب، وتنزاح به غياهب الشرك، وظلمات الجهل والغواية[١].

لقد كان سيدنا محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام، يخلو بغار حراء، وقد كان يفعل ذلك من تلقاء نفسه دون إيعاز من أحد من الخلق، وأَلِفَ ذلك وأحبّه، فكان يجد في تلك الخلوة الراحة والأنس والهدوء.

وذكر البعض أنه أقام عليه الصلاة والسلام، قبل مبعثه بثلاث سنين، يرى أمارات النبوة، ويسمع علاماتها، ولا يدري ما هي[٢].

ولما أتّم -عليه الصلاة والسلام- أربعين سنة من حياته، بدأت آثار النبوة وعلاماتها تظهر، وأول ما بدئ به منها الرؤيا، وهي من علامات النبوة، كما جاء في قوله ﷺ عنها: «**إنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**» رواه البخاري[٣].

وقد أوضحت ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، يتحنّث فيه الليالي ذوات العدد». متفق عليه[٤].

قال العلامة القرطبي -رحمه الله- في المفهم عند كلامه على هذا الحديث:

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٧.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ١٤٣.

(٣) صحيح البخاري (٦٩٨٣).

(٤) صحيح البخاري (٦٩٨٢)، صحيح مسلم (٢٢٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اختلف في عبادة النبي ﷺ قبل مبعثه، هل كانت، لأنه كان متعبداً بشريعة من قَبْلَه؟، أم كانت لما جعل الله في نفسه، وشرح به صدره من نور المعرفة؟، ومن بغْضِه لما كان عليه قومه من عبادة الأوثان، وسوء السيرة، وقُبح الأفعال، فكان يفر منهم بُغضاً، ويخلو بمعروفه أنساً؟.

قال: وأصح الأقوال أنه كان على دين إبراهيم عليه السلام، ولم يكن متعبداً لشيء من الشرائع الأخرى، لأنه لو كان كذلك لعلم انتماؤه لتلك الشريعة، ومحافظته على أحكامها، وأصولها وفروعها، ولو علم شيء من ذلك لنُقِل؛ لأنه ﷺ ممن تتوفر الدواعي على نقل أحواله، وتتبع أموره. انتهى كلامه رحمه الله[(١)].

ثم تبين عائشة رضي الله عنها، حاله ﷺ، قبل البعثة، وأنه كان يتزود ويأخذ ما يحتاجه من الزاد والطعام ما يكفيه مدة بقائه في الغار، فإذا نفد ما عنده عاد إلى مكة، فتزود ثم عاد، واستمر على تلك الحال.

ولما أراد الله إكرامه وتشريفه بالنبوة وحين بلغ أربعين سنة من عمره ﷺ، وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر رمضان -على ما اختاره بعض العلماء- نزل إليه جبريل بآيات من القرآن الكريم، وهو في غار حراء[(٢)].

تقول عائشة -رضي الله عنها- : «فجاءه الملك وهو في غار حراء، فقال: «**اقرأ**»، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما أنا بقارئ**»، قال عليه الصلاة والسلام: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد**» ـ أي ضمني حتى بلغ مني

(١) المفهم للقرطبي ١/ ٣٥٦.
(٢) الرحيق المختوم٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

غاية الجهد والمشقة ـ قال: ثم أرسلني، فقال: اقرأ، «**فقلت: ما أنا بقارئ**»، قال: فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، «**فقلت: ما أنا بقارئ**»، فأخذني وغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[(١)].

فرجع رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده، حتى دخل عليها، وهو يقول: «**زملوني زملوني**»، أي غطوني بالثياب، فغطوه حتى ذهب عنه الخوف والفزع، ثم طمأنته خديجة رضي الله عنها وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وقال له: هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، ثم انقطع الوحي بعد ذلك فترةً من الزمن، حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ، وأحزنه ذلك كثيراً، ثم عاد الوحي بعد ذلك، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[(٢)]، ثم حمي الوحي وتتابع». متفق عليه[(٣)].

وغار حراء مساحته من الداخل تكفي لثلاثة أشخاص، وبابه يتسع لدخول الشخص الواحد وهو قائم، وقد غطي سقفه بصخور مائلة، ووسطه أعلى من جانبيه.

فغار حراء، هو الغار الذي كان ابتداء نزول الوحي فيه على رسول الله ﷺ، أمّا الغار الذي كمن فيه عليه الصلاة والسلام هو وصاحبه أبو

(١) سورة العلق، الآيتان (١ـ٥).

(٢) سورة المدثر، الآيتان (١ - ٢).

(٣) صحيح البخاري (٦٩٨٢)، صحيح مسلم (١٦٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بكر رضي الله عنه، في طريقهما للهجرة، فهو غار ثور، وسيأتي الكلام عنه في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

وليس لأي من الغارين فضيلةٌ للتعبد فيه، ولا مزية لقصدهما للطاعة أو التبرّك، إذ ليس للأماكن فضيلة إلا ما جاءت به النصوص الشرعية، والخير في اتباع نهج المصطفى ﷺ واقتفاء أثره، واتباع هديه عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم، وما نهجه السلف الصالح رحمهم الله.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثالث عشر
غارثور

بعد أن جهر رسول الله ﷺ بالدعوة، ودخل الناس في دين الإسلام، وكثرت أعدادهم، وكان منهم سبعون من الأنصار اجتمعوا بالنبي ﷺ سراً في موسم الحج، وبايعوه على النصرة والتأييد، وعادوا إلى المدينة المنورة، - وذلك عامل مهم في انتشار الإسلام، وتأسيس قاعدة له في مكان آخر، ووجود مناصرين له في موقع استراتيجي -، بدأت طلائع الهجرة، حيث أخذت أعداد من المسلمين تنتقل من مكة، وتنزح عنها إلى أماكن أخرى يجدون فيها الراحة والطمأنينة، ويأمنون على دينهم وإقامة شعائره دون مضايقة من أحد[1].

لكن قريشاً حين رأت ذلك ازداد حقدها، واشتدّ أذاها للمسلمين، وأخذ المشركون باتباع شتى الوسائل التي تمنع الناس من الدخول في الإسلام، أو الهجرة إلى المدينة، وكان أعيان قريش يدركون تماماً قوة تأثير شخصية النبي ﷺ في أصحابه، مع ما يملأ قلوبهم من الإيمان والصبر وقوة العزيمة، كما أن أعداداً أخرى في المدينة بدأت تدخل في هذا الدين الجديد، وتقدم تسهيلات كبرى لإيواء إخوانهم القادمين من مكة فراراً بدينهم.

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة ١٦٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عقد زعماء قريش اجتماعاً لهم لدراسة الخطر الذي يهدد كيانهم، والبحث عن وسائل من شأنها القضاء على الإسلام قبل أن يتوسع، ودفع هذه الدعوة التي عظم أمرها، وقوي شأنها، فأجمع رأيهم على أنه لا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بقتل النبي ﷺ، حيث اقترح عليهم أبو جهل أن يختاروا شاباً جلداً من كل قبيلة، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه، ويستريحوا منه، فيتفرق دمه في القبائل كلها، وقد أورد القرآن الكريم ما تضمنّه اجتماع قريش من الآراء والمقترحات التي دارت أثناء عقده، قال جل وعلا: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وقد نزل جبريل عليه السلام، وأخبر النبي ﷺ بتلك المؤامرة، وأَمَرَه أن لا ينام على فراشه تلك الليلة، وأن يتهيأ للهجرة[2].

وذهب رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه في بيته منتصف النهار، وتشاورا على رسم خطة الهجرة واتفقا على ذلك، وعاد رسول الله ﷺ إلى بيته ينتظر مجيء الليل، وأمر علياً رضي الله عنه أن ينام على فراشه، وقد اختار مشركو مكة أحد عشر رجلاً لينفذوا ما اتفقوا عليه، حيث حاصروا منزل النبي ﷺ، ووقفوا ينتظرون خروجه، ليثِبُوا عليه، واخترق النبي عليه الصلاة والسلام صفوفهم، وأخذ حفنة من التراب وذرّها على رؤوسهم، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ

(١) سورة الأنفال، آية (٣٠).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٦٥، الرحيق المختوم١٧٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾[١] فلم يبق منهم واحدٌ إلا وأصابه شيء من ذلك التراب، وقصد عليه الصلاة والسلام بيت أبي بكر رضي الله عنه، وبقي المشركون ينتظرون خروجه إذ أعمى الله أبصارهم فلم يروه عند مروره أمامهم، ثم جاءهم رجلٌ وقال لهم: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: خِبْتُم وخسرتم، قد والله مرّ بكم وذرّ على رؤوسكم التراب، فقالوا: ما أبصرناه، وأخذوا ينفضون التراب عن رؤوسهم[٢].

أما رسول الله ﷺ فقد خرج من مكة هو وصاحبه أبو بكر قبل أن يطلع الفجر، وكان يدرك عليه الصلاة والسلام أن المشركين بعد علمهم بخروجه سيجدّون في طلبه، وسيحاولون الظفر به مهما كلّفهم الأمر، لذلك سلك طريقاً لا تتوقع قريشٌ ذهابه منه، حيث اتجه جنوب مكة، بدل أن يتجه شمالاً إلى المدينة حتى يموّه عليهم حين يبتدئون البحث عنه.[٣]

وقبل أن تغيب مكة عن ناظريه، وقف ينظر إليها، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**». رواه الترمذي[٤].

واستمرا في طريقهما، وكان أبو بكر رضي الله عنه يمشي أحياناً أمام النبي ﷺ وأحياناً خلفه، ففطن له عليه الصلاة والسلام، فسأله عن ذلك،

---

(١) سورة يس، آية (٩).

(٢) المصادر السابقة ، والبداية والنهاية ٣/ ١٩٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٤٣.

(٤) رواه الترمذي ٨٨٣، رقم (٣٩٢٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٥٣٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقال يا رسول الله: أذكر الطّلب، فأمشي خلفك، وأذكر الرّصد فأمشي أمامك.

وواصلا سيرهما نحو جبل ثور، يتحملان وعورة الطريق، وصعوبة المسالك الموصلة إلى الغار الواقع في قمة الجبل، حتى يسّر الله لهما الوصول إليه، بعد أن قطعا مسافة نحواً من خمسة أميال، وتقدم أبو بكر رضي الله عنه، ودخله أولاً ليتأكد من خلّوه من الهوام والحشرات، ثم دخل رسول الله ﷺ، ومكثا في الغار(١).

أما مشركو مكة فقد استنفروا قواهم، وخرجوا في كل اتجاه يبحثون عن النبي ﷺ، ورصدوا الجوائز والمكافآت لمن يأتيهم بخبره، وتتبّعوا آثاره، حتى وصلوا إلى فم الغار، وسمع النبي ﷺ وصاحبه حديثهم وأصواتهم، فأشفق أبو بكر، وأقبل عليه الهم والخوف، ويقول للمصطفى عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدمه لرآنا، فطمأنه النبي ﷺ، وهدَّأ من روعه، وقال له: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**» متفق عليه(٢).

وقد نصر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام في هذا الموطن، وأظهره على أعدائه من المشركين وأعزّه عليهم، وكتب له الغلبة على عتاة قريش وصناديدهم، وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ

(١) السيرة النبوية ٢٧٤.

(٢) صحيح البخاري (٤٦٦٣)، وصحيح مسلم (٢٣٨١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[١].

وفي هذا الغار كانت الحماية الإلهية، لسيد البشرية عليه الصلاة والسلام، وحفظه الله تعالى من تسلط الكفار عليه، حتى إنهم وصلوا إلى فم الغار، وداروا حوله، ونظروا إليه، فرأوا أن العنكبوت نسجت عليه خيوطها، فتيقنوا أنه مهجور منذ زمن بعيد، فعادوا وقد أعمى الله أبصارهم عن رؤية نبيه ﷺ، وحَرَسَه من كيدهم[٢]، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣].

وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بقائه مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الغار[٤]:

قالَ النَبِيُّ ولَم أَجزَع يُوَقِّرُني ... وَنَحنُ في سُدفَةٍ مِن ظُلمَةِ الغارِ
لا تَخشَ شَيئًا فَإِنَّ اللَهَ ثالِثُنا ... وَقَد تَوَكَّلَنا مِنهُ بِإِظهارِ
وَإِنَّما الكَيدُ لا تُخشى بَوادِرُهُ ... كَيدُ الشَياطينِ كادَتهُ لِكُفّارِ
وَاللَهُ مُهلِكُهُم طُرّاً بِما كَسَبوا ... وَجاعِلُ المُنتَهى مِنهُم إِلى النارِ
وَأَنتَ مُرتَحِلٌ عَنهُم وَتارِكُهُم ... إِمّا غُدُوّاً وَإِمّا مُدلِجٌ سارِ
وَهاجِرٌ أَرضَهُم حَتّى يَكونُ لَنا ... قَومٌ عَلَيهِم ذَوو عِزٍّ وَأَنصارِ

(١) سورة التوبة، آية (٤٠).
(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٣٠٢.
(٣) سورة الأنفال، آية (٣٠)
(٤) البداية والنهاية ٣/ ٣٢٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وغار ثور صخرة واسعة مجوفة من الداخل، تتسع لأكثر من عشرين رجلاً، وبابه ضيق المدخل، لا يمكن لأحدٍ أن يدخله إلا حبواً، وارتفاعه من الداخل ما بين متر ومتر ونصف[١].

ومكث فيه رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، ثلاثة أيام، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام، وعبد الله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار، ولما أيقنا بأن بحث قريش عنهما قد خفّ، وسكن الناس عن مطاردتهما والتفتيش عنهما، خرجا من الغار وركبا راحلتين، بعد أن استأجرا دليلاً خبيراً يعرف الطريق إلى المدينة، حيث بدأت رحلة الهجرة في غرة ربيع الأول من العام الأول للهجرة، وانتقلا من مكة مهاجرين إلى مكان يأمن فيه المصطفى عليه الصلاة والسلام على نشر الإسلام، ويجد فيه من يعينه على قيام الدولة الإسلامية[٢]، حيث انطلق شعاع الإيمان من المدينة المنورة إلى كافة أرجاء المعمورة، ينير للناس طريق الهدى والفلاح، ويوضح لهم سبيل الرشاد والصلاح.

(١) معجم الأمكنة ٣٣٩.

(٢) الرحيق المختوم٨٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الفصل الثاني
معالم من المدينة المنورة

- المدينة المنورة.
- المسجد النبوي الشريف.
- الروضة الشريفة.
- المنبر النبوي.
- الحجرة النبوية.
- بقيع الغرقد.
- مسجد قباء.
- جبل أحد.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الأول
المدينة المنورة

إليها هاجر المصطفى عليه الصلاة والسلام، ووجد فيها من ينصره ويؤويه، ويعينه على نشر دعوته، ويشد من أزره، كما أنهم يؤثرونه على محبوباتهم، وَيُفَدُّونه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم، ويهون عليهم كل شيء في سبيل نصرته، ويتسابقون لكسب رضاه ومحبته.

فطاب مقامه بطيبة، وأنست به وبقدومه إليها الحبيبة، ودعا ربه وقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**». متفق عليه[1].

وذكر عليه الصلاة والسلام فضائلها، وبيّن خصائصها ومناقبها، وأحبّها كثيراً، وكان يشتاق إليها إذا غاب عنها، ويسرع إذا أقبل عليها، ففي طريق عودته من غزوة تبوك، وحين وصل إلى وادي القرى، قال لأصحابه: «**إني مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث**» متفق عليه[2].

وروى أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع[3] راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبّها» رواه البخاري[4].

---

(١) صحيح البخاري (١٨٨٨)، صحيح مسلم (١٣٧٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٤٧٤).

(٣) أي: حملها على السرعة.

(٤) صحيح البخاري (١٨٨٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وحث عليه الصلاة والسلام ساكني المدينة على إحسان الجوار، والتزام آدابه، بمعرفة ما لَها من المكانة السامية، وما اختصت به من الفضائل العظيمة، إذ يحرم عليهم إحداث أي عمل مخالف للكتاب والسنة، أو نشر أي بدعة أو ضلالة في الدين، وبين حدود حرم المدينة، ما بين الحرتين الشرقية والغربية، وما بين عير في جنوبها إلى ثور في شمالها [(١)]، قال عليه الصلاة والسلام: «**المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل**» متفق عليه[(٢)].

ودعا للمدينة بالبركة والفضل، وخصها بمزيد من الدعاء، وقال: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيّك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه**». رواه مسلم[(٣)].

ورغّب عليه الصلاة والسلام في السكنى في دار الهجرة، ومأرز الإيمان وقال: «**يأتي على الناس زمانٌ يدعو الرجلُ ابنَ عمِّه وقريبَه، هلّم إلى الرخاء، هلّم إلى الرخاء، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون**» رواه مسلم[(٤)].

(١) آثار المدينة ، عبدالقدوس الأنصاري ٢٠٩.
(٢) صحيح البخاري (٦٧٥٥) ، صحيح مسلم (١٣٧٠).
(٣) صحيح مسلم (١٣٧٣).
(٤) صحيح مسلم (١٣٨١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وحضّ على الموت بالمدينة، وبَيّنَ فضل ذلك، وقال: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإني أشفع لمن مات بها**» رواه الترمذي[١].

وقال أيضا: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بالمدينة كنت له شهيداً أو شفيعًا يوم القيامة**» رواه ابن حبان في صحيحه.[٢]

ودعا ساكنيها إلى الصبر على ما يجدونه فيها من حر الصيف، وبرد الشتاء، وضيق العيش، وصعوبة الكسب، أو ما ينالهم من أذى، فقال: «**لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد، إلا كنت له شهيداً أو شفيعًا يوم القيامة**». رواه مسلم[٣].

ونهى عن الخروج منها رغبةً عنها، وإيثار غيرها من البلدان عليها، وبَيّنَ أن من تركها لذلك، فإن الله سيعوض المدينة من هو أفضل منه، فقال: «**والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه**» رواه مسلم[٤].

والمراد هنا الخروج المذموم، وكراهية البقاء والعيش فيها، والتضايق والتشاؤم من سكناها، أما إن لم يكن كذلك، فإنه لا يدخل في الوعيد، حيث خرج بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ للجهاد ونشر الإسلام، وتفرقوا في كثير من البلدان والأمصار.

---

(١) سنن الترمذي (٣٩١٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٥).

(٢) صحيح ابن حبان (٣٧٣٢).

(٣) صحيح مسلم (١٣٧٧).

(٤) صحيح مسلم (١٣٨١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأوضح - عليه الصلاة والسلام - أن المدينة لا يستقر فيها، ولا يبقى بها إلا من طابت نفسه، وأَنِسَ بجواره للمصطفى عليه الصلاة والسلام، وأما من عُرِفُوا بالشر والفساد، وأَلِفُوا الأذى والإفساد، فإن المدينة لا تبقيهم فيها، بل تبعدهم وتنفيهم، قال ﷺ: «**ألا إن المدينة كالكير، تُخرِج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد**» رواه مسلم(١).

وقال أيضاً: «**إنما المدينة كالكير تنفي خَبَثَها، ويَنْصَعُ طَيِّبُهَا**» متفق عليه(٢).

وقد توعَّد عليه الصلاة والسلام كلَّ من تعرّض لسكان المدينة بالأذى، أو اعتدى عليهم، أو ظلمهم، فقال: «**من أراد أهل هذه البلدة بسوء** ـ يعني المدينة ـ **أذابه الله كما يذوب الملح في الماء**» رواه مسلم(٣).

وقال: «**لا يكيد أهلَ المدينة أحدٌ، إلا انماع كما ينماع الملحُ في الماء**». رواه البخاري(٤).

وفي لفظ: «**ولا يريدهم أحدٌ بسوء، إلا أذابه الله ذوبَ الرصاص في النار، أو ذوبَ الملح في الماء**» رواه مسلم(٥).

(١) صحيح مسلم (١٣٨٥).
(٢) صحيح البخاري (٧٢١١)، صحيح مسلم (١٣٨٣).
(٣) صحيح مسلم (١٣٨٦).
(٤) صحيح البخاري (٦٧٥٥)، صحيح مسلم (١٣٧٠).
(٥) صحيح مسلم (١٣٦٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ودعا على من ظلمهم أو أخافهم فقال: «**اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل**» رواه الطبراني[١].

ومن مناقب المدينة، حراسة الله تعالى، وحمايته لها من الدجال والطاعون، قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها**» متفق عليه[٢].

وقال ﷺ: «**لا يدخل المدينة رعب الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان**» رواه البخاري.[٣]

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**» متفق عليه[٤].

وإذا كان للمدينة هذه الفضائل وغيرها، حيث بين عليه الصلاة والسلام شدّة حبّه لها، ودعا لها، وتوعّد من آذى أهلها، ورغّب في سكناها، فإن الواجب على كل من أكرمه الله بجوار ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام، وكل من وفقه الله لزيارتها ، أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، ويعرف قدرها، ويحفظ نفسه من انتهاك حرمتها، أو الوقوع في شيء من المخالفات، أو محادّة الله تعالى، أو عدم الالتزام بتعاليم الإسلام وأوامره

(١) المعجم الكبير للطبراني (٦٦٣٦).
(٢) صحيح البخاري (١٨٨١) ، (صحيح مسلم ٢٩٤٣).
(٣) صحيح البخاري (١٨٧٩).
(٤) صحيح البخاري (١٨٨٠) ، صحيح مسلم (٧١٣٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وآدابه، وليتذكر أنه في بلدة مباركة آوتْ أشرف الخلق، واحتضنت سيد الأنبياء وخاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام، فليحسن جواره، ولينشر الخير بين أهلها وزائريها، وليكن قدوة حسنة، في معاملته وسائر تصرفاته، وليتأدب بآداب الإسلام الفاضلة وأخلاقه ا لحميدة، التي دعا إليها ساكن المدينة عليه أفضل الصلاة والسلام.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني
المسجد النبوي الشريف

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت يا رسول الله: أي المسجدين الذي أسّس على التقوى؟ قال: فأخذ عليه الصلاة والسلام، كفاً من حصباء، فضرب به الأرض ثم قال: «**هو مسجدكم هذا**»[1]، لمسجد المدينة، رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وروى الترمذي وصححه، أن رجلين اختلفا في المسجد الذي أُسّس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو المسجد النبوي، فسألا رسول الله ﷺعن ذلك فقال: «**هو مسجدي هذا، وفي ذلك خيرٌ كثير**»[2].

وقد اختلف العلماء فيما بعد في المسجد الذي أُسّس على التقوى، فقال بعضهم: هو المسجد النبوي، وذلك للأحاديث الواردة في ذلك، ومنها الحديثان السابق ذكرهما.

(١) صحيح مسلم (١٣٩٨).
(٢) سنن الترمذي (٣٠٩٩)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال بعضهم: هو مسجد قباء، لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[1] هو مسجد قباء.

قال الإمام الطبري - رحمه الله - وأَوْلَى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو مسجد الرسول ﷺ، لصحة الخبر بذلك عنه عليه الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ نزلت بسبب مسجد قباء، لكن الحكم يتناوله، ويتناول ما هو أحق منه بذلك، وهو مسجد المدينة - أي المسجد النبوي الشريف -وهذا يوجه ما ثبت في صحيح مسلم من الحديث السابق، حين سُئِل عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فقال: «**هو مسجدي هذا**»، فكلا المسجدين أسس على التقوى، لكن مسجد المدينة أكمل في هذا النعت، فهو أحقُّ بهذا الاسم، ومسجدُ قباء كان سَبَبَ نزولِ الآية.[2] انتهى كلامه رحمه الله.

ولما هاجر المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، وحين دخلها وهو راكب ناقته، والأنصار كلٌّ يعرض عليه النزول عنده، ويقولون: إلينا يا رسول الله، فيقول لهم عليه الصلاة والسلام: «**دعوا الناقة فإنها مأمورة**» رواه البيهقي[3].

(١) سورة التوبة، آية (١٠٨).

(٢) جامع البيان للطبري ١٤/ ٤٧٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٤٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حتى بركت قرب دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هذا المنزل إن شاء الله**»[١] رواه البيهقي.

وكانت الأرض ملكاً لغلامين من بني النجار، فدعاهما، وعرض عليهما بيعه، فأبيا، وقالا: نهبه لك يا رسول الله فأبى عليه الصلاة والسلام، واشتراه منهما[٢].

وروى أنس رضي الله عنه قال: أمر النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد، فقال: "يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا "، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله"، ثم ذكره الإمام البخاري ضمن: "باب وقف الأرض للمسجد"، وفي" باب إذا قال الواقف: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فهو جائز ".

وهذا يدل على أنّ بناء أرض المسجد النبوي كان أول وقف عملي في الإسلام.

ثم أمر عليه الصلاة والسلام ببناء المسجد، وشرع هو وأصحابه رضي الله عنهم في العمل، وجعلوا ينقلون اللّبن والصخر، والرسول ﷺ يتقدمهم وينقل معهم، وهو يقول:

لا هُــمَّ إن الأجــر أجــر فــارحم الأنصــار والمهــاجرة

وقد كان بناءُ المسجد في شهر ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة، وهو الشهرُ الذي وصل فيه المصطفى عليه الصلاة والسلام المدينة ،

(١) المصدر السابق .

(٢) أخبار المدينة لابن النجار٦٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبُني من اللبن والطين والصخر، والأخشاب، وجريد النخل[١].

قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: كان المسجد على عهد رسول الله مبنيًا باللبن، وسقفُه الجريد، وعُمُده خشبُ النخل.

وقد ذكر المؤرخون أن طولَ المسجد عند بدء إنشائه سبعون ذراعًا، وعرضه ستون ذراعًا، أي أن مساحته حوالي ألف متر مربع، وكان له ثلاثةُ أبواب، وبعد غزوة خيبر رأى رسول الله ﷺ أن المسجدَ ضاق على المصلين، نظراً لازدياد أعداد الداخلين في الإسلام، فندب المسلمين إلى شراء الأرض المملوكة حول المسجد، فاشتراها عثمان رضي الله عنه وأرضاه، فأضافها عليه الصلاة والسلام إلى المسجد، فأصبحت مساحته ألفين وخمسمائة متر مربع، أي ما يقرب من خمسين في خمسين متراً، وتوفي عليه الصلاة والسلام ومساحة المسجد هكذا، وتولَّى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه، فلم يغير شيئًا، ثم إن عمر رضي الله عنه بناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ، وقد ذكر ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر غَيَّرَ في بنيانه، حيث بناه باللبن والجريد، وأعاد عمده خشبًا، وفرشه بالحصباء، وزاد في مساحته من الجهات الجنوبية والغربية والشمالية في السنة السابعة عشرة للهجرة[٢].

ثم لما تولى الخلافة عثمان رضي الله عنه زاد فيه من جميع جهاته، حيث بدأ العمل به في غرة شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين للهجرة، وفرغ من التوسعة والبناء بعد عشرة أشهر، وزاد فيه زيادة كبيرة، وجعل

(١) وفاء الوفا ٢/ ٤٦٩.

(٢) تحقيق النصرة٥٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أعمدته من حجارة منقورة أدخل فيها عمد الحديد، وصب فيها الرصاص، وجعل سقفه من خشب السّاج[١].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك جدد عمارة المسجد ووسّعه حيث أدخل في المسجد حُجَر أزواج النبي ﷺ، ثم توالت عناية ولاة المسلمين بالمسجد النبوي الشريف زيادة وتحسيناً، كلما دعت الحاجة إلى ذلك[٢].

وحين قيّض الله تعالى لهذه البلاد، وأراد لها الخير، بحكام الدولة السعودية، الذين وظفوا جل اهتمامهم لخدمة الحرمين الشريفين، وتهيئة كافة السبل لراحة الحجاج والمعتمرين والزائرين، بدءاً من مؤسس هذه الدولة الملك عبد العزيز رحمه الله، الذي أمر في عام ألف وثلاثمائة وثمانية وأربعين للهجرة بعدة إصلاحات في المسجد النبوي، منها ترميم الأعمدة والجدران، ثم أمر رحمه الله بتوسعة المسجد النبوي، وبدئ في التنفيذ عام ألف وثلاثمائة وسبعين للهجرة وتوفي رحمه الله قبل أن يكتمل البناء[٣].

ثم تمّ في عهد الملك سعود رحمه الله اكتمال بناء المسجد النبوي الشريف، وكانت التوسعة السعودية الأولى له، فأصبحت مساحة المسجد النبوي كاملة ستة عشر ألفاً وثلاثمائة وسبعة وعشرين متراً مربعاً، تتسع لثمانية وعشرين ألف مصلٍ.

(١) عمدة الأخبار ١٠٨.

(٢) وفاء الوفا٢/ ٥٠٣.

(٣) آثار المدينة المنورة ١١٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - ونظرا لتزايد الأعداد الوافدين للمسجد النبوي خاصة في موسم الحج نتيجة لسهولة المواصلات والتنقل، والراحة التي يلقاها الحاج والزائر في هذه البلاد الطاهرة، كان لا بد من توسعة المسجد حتى يستوعب هذه الأعداد المتزايدة، فأصدر الملك فيصل أمره بتوسعة المسجد. وتمثلت التوسعة في إضافة ٣٥ ألف متر مربع إلى أرض المسجد النبوي الشريف، ولم تتناول عمارة المسجد نفسها، بل جهزت تلك المساحة لإقامة مصلى كبير مظلل، يتسع لعدد من المصلين يماثل عددهم داخل المسجد، ثم أضيفت مساحة ٥٥٥٠ مترا مربعا وظللت كذلك، مما أتاح المجال لاستيعاب أعداد أكثر من المصلين وكان ذلك سنة ١٣٩٥هـ[١].

وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - وفي ١٣٩٧هـ تمت إزالة السوق القماشية وهو في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد، وتمت إزالة المنطقة وتسوية أرضيتها، وتعويض أصحاب الدور والعقار، وتمت إضافتها لمساحة المسجد، وبلغت المساحة ٤٣٠٠٠ متر مربع وهو ميدان فسيح مظلل، وأضيف إلى أرض المسجد النبوي ولم تتناول عمارة المسجد، وتم تخصيص جزء منها مواقف للسيارات.

وفي عهد الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله ، تمت توسعة كبرى للمسجد النبوي الشريف، حيث أمر - رحمه الله - بالتوسعة، ووضع حجر الأساس لها في الخامس من شهر صفر سنة ألف وأربعمائة وخمس للهجرة، ورصدت مبالغ كبيرة لتنفيذ التوسعة، وبدئ العمل في هذا

(١) الحرمان الشريفان خلال مائة عام.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المشروع المبارك في شهر محرم سنة ألف وأربعمائة وست للهجرة، واستغرق تسع سنوات، حيث ظهر المسجد النبوي بأجمل شكل وأروعه، واسع المساحة، متعدد المداخل، متناسق الأشكال، وأصبح البنيان العام للمسجد في إطار واحد، مغطى بالجرانيت على جدرانه الخارجية.

ويتكون المبنى من طابق الأقبية، والطابق الأرضي والطابق الأول، حيث زادت مساحة المسجد النبوي المهيأة للصلاة إلى مائة وخمسة وستين ألف متر مربع، تستوعب أكثر من سبعمائة ألف مصل، وفي أوقات الذروة في المواسم يصل أعداد المصلين إلى أكثر من مليون مصل باستخدام الساحات المحيطة بالمسجد.(١)

وتشتمل التوسعة على ست منارات جديدة، ارتفاع كل منها مائة وأربعة أمتار، فأصبح للمسجد عشر منارات، بنيت على أحدث النظم الهندسية الحديثة، واشتملت التوسعة على إضافة مداخل عديدة، فأصبح عدد الأبواب خمسة وثمانين باباً.

ومن المنجزات الرائعة في المسجد النبوي القباب المتحركة، التي أنشئت للإفادة من التهوية والإنارة الطبيعية، وبلغ عددها سبعاً وعشرين قبة ضخمة، يتم تحريكها من جهاز حاسوب، يمكنه فتح كل قبة وإغلاقها على حدة، ويمكن فتحها وإغلاقها جميعاً في وقت واحد(٢).

(١) المصدر السابق .

(٢) الرحاب الطاهرة ، تقرير مجموعة بن لادن.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن أعظم الإضافات التي حظي بها المسجد النبوي في هذه التوسعة العملاقة، مشروع التكييف والتبريد الذي يعد من أكبر الإنجازات التي كان الهدف منها توفير الراحة للمصلين، ويتم ضخ الهواء المبرد من مصنع التبريد إلى المسجد النبوي، عبر مواسير تمتد داخل نفق يبعد سبعة كيلو مترات عن المسجد النبوي، حيث يندفع الهواء البارد ويخرج من خلال الفتحات المهيأة ضمن قواعد الأعمدة الرخامية المغطاة بشبكة النحاس[١].

كما تضمن مشروع توسعة المسجد النبوي إنشاء مواقف للسيارات تتصل بساحات المسجد بستة وخمسين سلماً كهربائياً متحركاً للصعود والنزول، وثمانية وعشرين سلماً عادياً، وألحق بالمواقف عدد من دورات المياه وأماكن الوضوء، ونافورات لشرب الماء البارد، كما تم عمل مبان للخدمات العامة داخل المواقف.

كما أن المسجد النبوي مزود بحافظات المياه المبردة، حيث يجلب ماء زمزم من مكة المكرمة يومياً بواسطة ناقلات، ثم يتم تعقيم المياه وتبريدها آلياً، ومن ثم تعبئتها في الحافظات التي يصل عددها إلى سبعمائة حافظة موزعة داخل المسجد النبوي الشريف والساحات المحيطة به.[٢]

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود r تم تدشين أكبر توسعة للمسجد النبوي الشريف على مدى

(١) ينظر : الحرمان الشريفان خلال مائة عام.
(٢) المصدر السابق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التاريخ، إلى جانب مشروع مظلات المسجد النبوي التي أمر بها – أيده الله – وهي من المشاريع العملاقة، حيث جاء التوجيه بتصنيعها وتركيبها على أعمدة ساحات المسجد النبوي الشريف التي يصل عددها إلى ٢٥٠ مظلة، لتغطي هذه المظلات مساحة ١٤٣ ألف متر مربع من الساحات المحيطة بالمسجد من جهاته الأربع ليصلي تحت الواحدة منها ما يزيد على ٨٠٠ مصل، يضاف إلى ذلك تظليل ستة مسارات في الجهة الجنوبية ويسير تحتها الزوار والمصلون. وصنعت هذه المظلات خصيصا لساحات المسجد على أحدث تقنية وبأعلى ما يمكن من الجودة والإتقان وتغطي المظلة الواحدة ما مساحته(٥٧٦) متراً مربعا ويستفيد منها أكثر من (٢٠٠) ألف مصل إضافة إلى تنفيذ مشروع الساحة الشرقية للمسجد النبوي الشريف وبمساحة تبلغ (٣٧) ألف متر مربع وستستوعب أكثر من(٧٠) ألف مصل وسيستفيد المشروع من تنفيذ مواقف للسيارات والحافلات في بدروم المشروع يستوعب لأكثر من أربعمائة وعشرين سيارة وسبعين حافلة كبيرة كما تضمنت الأعمال المنفذة على دورات مياه مخصص معظمها للنساء ومواقف مخصصة لتحميل وإنزال الركاب من الحافلات والسيارات وتنفيذ مداخل ومخارج مواقف السيارات بالمسجد النبوي واشتمل ذلك تنفيذ ثلاثة أنفاق لربط مواقف السيارات بطريق الملك فيصل الدائري الأول[1].

لقد تمت هذه التوسعة العظيمة لمسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام بجهود مباركة، ومتابعة دائمة من خادم الحرمين الشريفين الملك

(١) صحيفة عكاظ ، العدد (٢٠٣٥) ، صحيفة الرياض ، العدد (١٤٩٩٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله، الذي يعمل جاهداً على تيسير وتسهيل وتوفير كل ما من شأنه راحة زوار مسجد المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ليؤدوا عباداتهم وصلواتهم بكل راحة واطمئنان، فرعى الله هذه الحكومة الرشيدة التي هيأت السبل، وسخرت كل إمكاناتها لخدمة الأماكن المقدسة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثالث
الروضة الشريفة

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» متفق عليه(١).

زيارة مسجد النبي ﷺ بالمدينة المنورة، سُنّةٌ ينبغي للمسلم أن يحرص عليها، حتى يصلي فيه، وينال الأجر والثواب، الذي ذكره المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام**» متفق عليه(٢).

والزائر للمسجد النبوي ينبغي أن يكثر من الصلاة فيه، والأفضل أن يصلي في الروضة الشريفة، التي بيّن رسول الله ﷺ فضلها على بقية أجزاء المسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**» متفق عليه(٣).

والذي يظهر -والله أعلم- أن المراد: أن هذا الجزء الذي حدّده المصطفى ﷺ من المنبر إلى بيته، روضة من رياض الجنة، بأن يُنْقَلَ هذا الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة.

---

(١) صحيح البخاري (١١٨٩)، صحيح مسلم (١٣٩٧).
(٢) صحيح البخاري (١١٩٠)، صحيح مسلم (١٣٩٤).
(٣) صحيح البخاري (١١٩٦)، صحيح مسلم (١٣٩١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وطول الروضة الشريفة من منبر النبي ﷺ إلى طرف الحجرة النبوية اثنان وعشرون متراً، من الغرب إلى الشرق، وعرضها من الشمال إلى الجنوب خمسة عشر متراً.(١)

وفي الروضة محراب النبي ﷺ، وهو المكان الذي كان يصلي فيه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن المحرابُ مجوفاً في عهده صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد خلفائه الراشدين - رضي الله عنهم - بل كان يصلي في هذا المكان الموجود اليوم أو قريباً منه، وتجويف المحراب إنما كان ابتداءُ وضعه في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

وفيها منبره ﷺ وهو حدُّها من الطرف الغربي، وقد كان النبي ﷺ يخطب عليه في الجمع، ولا يزال في موضعه الأصلي، والروضة الشريفة محددة المعالم، واضحة الحدود، يكسو أعمدتها وسواريها الرخام إلى حد النصف منها، وفَرْشُها مميز عن فرش بقية المسجد، وهي أكثر أجزاء المسجد ازدحاماً في أوقات الصلوات وغيرها من الأوقات الأخرى، إذ يحرص زوار المسجد النبوي على الإكثار من الصلاة والتنفّل فيها.

وفي الروضة الشريفة اسطوانات عديدة كتب على بعضها أسماء خاصة، فمنها:

أولاً: الاسطوانة المخلّقة، وهي في ظهر المحراب، وهو المكانُ الذي كان يصلي فيه النبي ﷺ، وكتب في أعلاها (**هذه اسطوانة المخلّقة**)، وسميت بذلك لأنه كان يوضع عليها الخلوق وهو الطيب، وهذه

(١) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ٢٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الاسطوانة أقيمت في موضع الجذع الذي كان يستند إليه النبي ﷺ قبل بناء المنبر.

روى يزيد بن أبي عبيد، قال: كنتُ آتي مع سلمة بن الأكوع، فيصلي عند الاسطوانة التي عند المصحف، فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرَّى الصلاة عند هذه الاسطوانة، قال: **فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها**. متفق عليه(١).

ثانيًا: اسطوانة عائشة رضي الله عنها، وهي في وسط الروضة(٢).

ثالثًا: اسطوانة أبي لبابة رضي الله عنه، وتسمى بأسطوانة التوبة، وهي الثانية من الحجرة، والرابعة من المنبر(٣).

وأضيفت تسميتها لأبي لبابة، لأنه ربط نفسه بها، وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ حاصر يهود بني قريظة، واشتدَّ عليهم الحصار، فسألوا رسول الله ﷺ أن يصالحهم على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير، فأبى رسول الله ﷺ أن يصالحهم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، فبعثه إليهم، واستشاروه في نزولهم على حكم سعد بن معاذ، فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: أنه الذبح، فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: فو الله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق على وجهه، وذهب إلى المسجد، وشدّ نفسه وربطها على سارية من سواريه، وقال:

(١) صحيح البخاري (٥٠٢)، صحيح مسلم (٥٠٩).
(٢) المغانم المطابة ١/ ٤٠٠.
(٣) وفاء الوفا ٢/ ٤٤٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له يا أبا لبابة، قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يجزيك الثلث أن تصدّق به**» ونزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[(١)].

وذكر بعضهم أنها السارية التي ربط فيها رسول الله ﷺ ثمامة بن أثال حين أتي به أسيراً إلى النبي ﷺ، وقصته في الصحيحين[(٢)].

رابعاً: اسطوانة السرير: وهي ملاصقة لشباك الحجرة النبوية، مكتوبٌ عليها (**هذه اسطوانة السرير**)، حيث كان يوضع سريره عليه الصلاة والسلام إذا اعتكف عندها.

خامساً: اسطوانة المحرّس أو الحرس، وهي لاصقة بشباك الحجرة، خلف اسطوانة السرير، ومكتوب عليها (**هذه اسطوانة المحرّس**)، وسميت بذلك، لأن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يجلسون عندها لحراسة النبي ﷺ، قبل نزول قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[(٣)] فلما نزلت الآية ترك رسول الله ﷺ الحرس[(٤)].

---

(١) سورة الأنفال، آية (٢٧)

(٢) البخاري (٤٣٧٢)، مسلم (١٧٦٤).

(٣) سورة المائدة، آية (٦٧).

(٤) المغانم المطابة ١/ ٤٠٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سادسًا: اسطوانة الوفود: وهي التي كان رسول الله ﷺ يجلس عندها لوفود العرب القادمة إليه، وتقع خلف اسطوانة المحرس ملاصقة لشباك الحجرة النبوية الشريفة، كتب عليها (**هذه اسطوانة الوفود**) [١].

إن فضل الصلاة في الروضة شامل لجميع أجزائها، إذ بين رسول الله ﷺ أنها روضة من رياض الجنة، ومما يجدر التنبيه عليه هنا، أنه ورد في بعض الألفاظ المحددة للروضة (ما بين قبري ومنبري) وهو بهذا اللفظ لا يصح، والصحيح الثابت «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**» متفق عليه[٢].

فعلى المسلم أن يحرص على الصلاة في هذه البقعة المباركة، ويكثر من التنفّل في الروضة الشريفة، عسى أن يكتب من عباد الله الفائزين.

(١) المصدر السابق.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الرابع
المنبر النبوي

حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، مهاجراً من مكة، كان أول عمل قام به اختياره المكان الذي بركت فيه ناقته ليكون موضع مسجده عليه الصلاة والسلام، وهذا الموقع كان يملكه يتيمان من الأنصار، فعرض عليهما شراءه، فقالا: يا رسول الله، لا نبيعه، بل نهبه لك، فلم يقبل، واشتراه عليه الصلاة والسلام منهما.

ثم حثّ المسلمين على المبادرة إلى البدء في بناء المسجد، فهبّ الصحابة رضي الله عنهم وسارعوا إلى ذلك، واشتركوا مع الرسول ﷺ في التأسيس والتشييد، ومازالوا يواصلون العمل حتى اكتمل بناء المسجد بعد اثني عشر يوماً.

ابتدأ الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يَؤُمُّ أصحابه فيه في صلواتهم، ويرشدهم ويوجههم، ويوضح لهم الأحكام، ويبين لهم رسالة الإسلام السامية، وقواعده الجليلة، وتعاليمه العظيمة.

وفي يوم الجمعة يزيدهم وعظاً وإرشاداً، وتوجيهاً وبياناً، من خلال الخطبة التي يلقيها عليهم قبل أداء الصلاة في ذلك اليوم الفاضل.

لقد كان مسجدُه عليه الصلاة والسلام عند ابتداء الصلاة فيه أول الأمر خالياً من المنبر الذي يصعد عليه الإمام لإلقاء خطبته، حيث كان ﷺ يخطب مُسنداً ظهره إلى جذع نخلة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: «**كان النبي ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد...**». رواه البخاري[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر. رواه البيهقي في دلائل النبوة[٢].

ثم اتخذ عليه الصلاة والسلام منبراً يصعد عليه ليلقي خطبه ومواعظه وإرشاداته، وقد وردت عدة روايات تبين ابتداء اتخاذه ﷺ للمنبر، فبعضها يدل على أنه أمر بذلك ابتداء، وبعضها يصرح بأن امرأة أنصارية اقترحت عليه ذلك، وبعضها يدل على أن أحد أصحابه أشار عليه باتخاذه.

فروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، ويسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس، قال: «**ابنوا لي منبراً**»، فَسُوّي له منبرٌ، رواه البيهقي.[٣]

وجاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة من دَوْمٍ كانت في مصلاه، وكان يتكئ إليها، فقال له أصحابه: يا رسول الله، إن الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئًا تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس، فقال: «**ما شئتم**»، رواه البخاري[٤].

(١) صحيح البخاري (٩١٨).
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٥٥٧.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٥٩.
(٤) صحيح البخاري (٦٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فدل هذان الحديثان على أن زيادة أعداد المصلين، وكثرة الداخلين في هذا الدين، استدعى أن تكون خُطَبه - عليه الصلاة والسلام - وظهوره أمام الناس على مكان مرتفع، ليراه من قد يخفى عليه رؤيته، وليكون أبلغ في مشاهدتهم له، وأدعى لإنصاتهم إليه.

وجاء في رواية أخرى من حديث أنس h، قال: «كان رسول الله ﷺ يقوم مسنداً ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يوم الجمعة، فخطب الناس، فجاءه رومي، فقال: يا رسول الله، ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه، كأنك قائم، فصنع له منبراً درجتين، ويقعد على الثالثة». رواه البخاري.[١]

واسم النَّجَّار الذي صنع منبر رسول الله ﷺ « ميمون » الرومي [٢].

وأما ما ورد من أن امرأةً من الأنصار أشارت عليه بذلك، فقد جاء في دلائل النبوة[٣] أنها هي التي عرضت عليه اتخاذ المنبر، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك منبراً تقعد عليه. فإن لي غلاماً نجاراً، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن شئتِ**» قال: فَعَمِلَتْ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة قعد على المنبر الذي صُنع له.

وفي رواية أخرى من حديث سهل رضي الله عنه، أنه عليه الصلاة والسلام أمرها بذلك قال: بعث رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار، أن مري غلامك النجار، أن يعمل لي أعواداً أجلس عليهن[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٦٤).
(٢) فتح الباري ٢/ ٣٩٧.
(٣) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٠.
(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ١٩٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد أجاب بعض العلماء على ما ورد من الاختلاف في هاتين الروايتين، إذ في الأولى منهما أنها ابتدأت فعرضت عليه ذلك، وفي الرواية الأخرى أنه هو الذي أرسل إليها يطلب ذلك، فقالوا: إن المرأة يحتمل أن تكون ابتدأت بالسؤال متبرعة بذلك، فلما حصل لها القبول، كان احتمال تأخر الغلام بصناعة المنبر وارداً، فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى المرأة لتحثّ غلامها النجار، على سرعة إنجاز عمل المنبر لعلمه ﷺ بطيب نفسها بما بذلته.

وكان اتخاذه ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنبر : سنة ٨هـ، وقيل سنة ٧هـ،وهو مصنوع على هيئة ثلاث درجات ،من أعواد شجر طَرْفَاء الغابة (الأثل) وهو مَوْضِعٌ من عوالي المدينة تقع إلى الشمال منها، وتسمى بـ«الخليل» حاليًا .[١]

وعلى أي حال فإنه عليه الصلاة والسلام قد اتخذ المنبر، وكان من خشب، وبين السبب الداعي إلى اتخاذه، ففي حديث سهل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أرسل إلى امرأة من الأنصار أن مري غلامك النجار، أن يعمل لي أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته، فعملها من طرفاء الغابة، أي من خشب الأثل، ثم جاء بها، فأرسلته إلى رسول الله ﷺ، فُوضِع في مكانه وأقبل على الناس، وقال: «**أيها الناس، إنما صنعتُ هذا لتأتموا، ولتعلموا صلاتي**» رواه البخاري[٢].

(١) فتح الباري ٥/ ٣٧.

(٢) صحيح البخاري (٩١٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد تواترت الروايات، واستفاضت، ودلت على أن الخشبة التي كان يستند إليها قبل أن يصنع المنبر حنّت، ولم تسكت حتى وضع رسول الله ﷺ يده عليها.

ففي صحيح البخاري[١]، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه، فحنَّ الجذع، فأتاه، فمسح يده عليه.

وفي رواية أخرى : أن الجذع لم يسكت حتى ضمّه النبي ﷺ إليه، قال جابر رضي الله عنه فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ عن المنبر، فضمَّها إليه، تئنُّ أنين الصبي[٢].

وفي لفظ آخر: فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن. رواه البخاري[٣].

قال الحسن البصري – رحمه الله –: يا معشر المسلمين، الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه. رواه البيهقي في الدلائل[٤].

كان منبره ﷺ درجتين ويجلس على الثالثة، وكم من الأحاديث الصحيحة التي نقلها الصحابة رضي الله عنهم، في صعوده ﷺ على المنبر يبين للناس أحكام الشريعة الإسلامية، سواء كان ذلك في خطبة الجمعة،

(١) صحيح البخاري (٩١٩).
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٠.
(٣) صحيح البخاري (٦٥).
(٤) دلائل النبوة ٢/ ٥٥٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أو في مناسبات أخرى، رأى عليه الصلاة والسلام أن الحال يستدعي صعوده عليه لينبه أصحابه على أحكامٍ جديدة، أو أخطاء وقع فيها بعضهم فيصححها لهم.

وقد ورد في فضل منبره ﷺ أحاديث صحيحة، منها، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**» رواه البخاري ومسلم(١).

وفي لفظ: «منبري هذا على ترعة من ترع الجنة» رواه البيهقي (٢)، وفي لفظ ثالث: «وقوائم منبري رواتبٌ في الجنة» رواه الحاكم(٣).

وَحَمَلَه أكثر العلماء على ظاهره، فقال: يكون منبره ذلك بعينه على حوضه، وقيل: إن له على حوضه منبراً آخر غير ذلك أعظم وأشرف منه، وقيل: إنّ ملازمة منبر النبي ﷺ لسماع الذكر، والوعظ، والتعلم، يفضي بصاحبه إلى الورود على الحوض.

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله- في المفهم(٤): والأولى التمسك بظاهر الحديث، فقد ورد في صحيح مسلم، أن في أرض المحشر أقواماً على منابر، تشريفاً لهم وتعظيماً، حيث قال ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة**»(٥)، وإذا كان ذلك في أئمة العدل، فالأنبياء أحرى، وإذا كان ذلك للأنبياء فأحرى وأولى بذلك نبينا ﷺ، فيكون منبره

(١) سبق تخريجه.
(٢) السنن الكبرى ٥/ ٢٤٧.
(٣) المستدرك للحاكم ٣/ ٥٣٢
(٤) المفهم للقرطبي ٣/ ٥٠٣.
(٥) صحيح مسلم (١٨٢٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعينه، ويزاد فيه، ويعظم، ويرفع وينور على قدر منزلته ﷺ، حتى لا يكون لأحد في ذلك اليوم منبرٌ أرفع منه، إذ ليس في القيامة أفضل منه ﷺ. انتهى كلامه رحمه الله.

وقد ذكر الفقهاء أن اليمين تُغلّظ فيما له خطر إذا رأى القاضي ذلك، وتغليظها بالمكان في المدينة، أن تكون عند منبر النبي ﷺ، وورد عظم عقوبة من حلف عند منبره ﷺ كاذبًا وإثمه[١]، فروى جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف على منبري آثما تبوأ مقعده من النار**» رواه أبو داوود[٢].

وفي لفظ آخر: «أيما امرئ من الناس حلف عند منبري هذا على يمين كاذبة يستحق بها حق مسلم، أدخله الله عز وجل النار، وَإِنْ على سواكٍ أخضر». رواه ابن ماجه[٣].

اللهم احفظنا وطهرنا من الآثام، وسلمنا من الكذب والظلم والإجرام، واجعلنا من عبادك المحسنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) المغني ١٠/ ٢١٠.

(٢) سنن أبي داوود (٣٢٤٦).

(٣) سنن ابن ماجه (٢٣٢٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الخامس
الحجرة النبوية

لما وصل رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، اتجه إلى داخلها، والمسلمون كلٌ يعرض عليه النزول عنده، ويقولون: يا رسول الله، المنزل، وناقته القصواء تواصل سيرها، وهو يقول: «**دعوها، فإنها مأمورة**» رواه البيهقي[1].

حتى بركت أخيراً مقابل دار أبي أيوب الأنصاري، الذي بادر رضي الله عنه بأخذ متاع النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، منزلي أقرب المنازل إليك، ثم ذهب معه النبي ﷺ فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، أين تَحُلّ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجل مع رَحْلِهِ حيث كان**» رواه البيهقي[2].

فاستقر عليه الصلاة والسلام في دار أبي أيوب، وسكن عنده، ولما انتهى من بناء المسجد وتشييده، وفرغ من إنشائه، بنى بجانب مسجده من الجهة الشرقية حجرتين، وبعد اكتمال بنائهما، انتقل عليه الصلاة والسلام من بيت أبي أيوب إليهما، وكانت إحداهما لعائشة، والأخرى لسودة رضي الله عنهما، ولم يكن متزوجاً غيرهما وقت ذاك، والحجرتان متجاورتان ومتلاصقتان[3].

---

(١) دلائل النبوة (٢/ ٤٩٨).

(٢) المصدر السابق .

(٣) وفاء الوفا ١/ ٢٦٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم إنه - عليه الصلاة والسلام -كان كلما تزوج امرأةً بنى لها حجرة بجوار مسجده، حتى أصبحت الحجرات على سمتٍ واحدٍ من جهة الشرق ، وكانت مبنية من اللِّبن والطين، وبعضها من الحجارة والطين، ويتخلل بعض الجدران أخشابٌ وُضِعَ تحتها وفوقها الطين، وكانت الغرفُ مسقفةً بالجريد، ولم تكن عالية البناء، ولا مرتفعة السقف، بل كان الداخل في إحداها إذا مدّ يده للأعلى لاَمَسَ سَقْفَها[(١)].

فقد ورد عن الحسن البصري - رحمه الله - وهو من أعلام التابعين، أنه قال: كنت أدخلُ بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه، فأتناول سقفها بيدي، رواه البيهقي[(٢)].

وبيوت النبي ﷺ، هذه التي كان يقيم بها مع أزواجه، هي التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى، وسميت بها إحدى سور القرآن الكريم.

قال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[(٣)].

وفي هذه الآية، ذم الله تعالى استخدام هذا الأسلوب الأرعن، في مناداة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الذي حَدَثَ من البعض في حياته ﷺ، ورد عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: جاء أناسٌ من العرب إلى النبي ﷺ، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيـًا فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكـًا نعش في جناحه، قال زيد: فأتيتُ النبي ﷺ فأخبرته بذلك، قال: ثم جاؤوا إلى حُجَرِ

(١) عمدة الأخبار ١١٠.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٦.

(٣) سورة الحجرات، آية (٤)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النبي ﷺ، فجعلوا ينادونه يا محمد، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[١] قال زيد: فأخذ النبي ﷺ بأذني، فمدّها، وجعل يقول: «**قد صدق الله قولك يا زيد، قد صدق الله قولك يا زيد**». رواه الإمام الطبري[٢].

ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٣]، أي: ولو أنّ هؤلاء الذين ينادونك: يا محمد، من وراء الحجرات، صبروا، فلم ينادونك حتى تخرج إليهم إذا خرجت، لكان خيراً لهم عند الله، لأن الله تعالى، قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك[٤].

هذه الحجرات التي كانت مطلّةً على مسجد المصطفى ﷺ، كان يسكن فيها أشرف الخلق، وسيدُ الورى، مع أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وقد اختار عليه الصلاة والسلام أن تكون هذه البيوت سكناً له في دنياه، تواضعاً منه، ورضاً بذلك، وبعداً عن زينة هذه الحياة وزخارفها، وهو الذي لو أراد لعاش عِيشَةَ الملوك، وتمتع بما يتمتع به الأثرياء والأغنياء، وسكن أفخم المنازل والقصور، لكنه عليه الصلاة والسلام يدرك أنه لم يخلق لعمارة الدنيا، وطلب ملذّاتها، فهي ظلٌ زائل، ومتاع فانٍ وذاهب، وهو يدّخر الحياة الهنية، واللذة والمتعة ليحظى بها في الآخرة، في نعيم الجنان، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، عند الرحيم المنّان.

---

(١) سورة الحجرات، آية (٤)

(٢) جامع البيان للطبري ٢٢/ ٢٧٨.

(٣) سورة الحجرات، آية (٥).

(٤) التحرير والتنويؤ ٢٧/ ٢٢٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبقي - عليه الصلاة والسلام - بهذه الحجرات حتى وفاته، حيث فاضت روحُ أشرف الورى، وأكرم الخلق، في واحدة من تلك الحجرات، هي حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وبعد أن غُسّل عليه الصلاة والسلام، وكُفّن، تشاور أصحابه -رضي الله عنهم- في المكان الذي يوارى ويدفن فيه أشرفُ جسد، فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إن عندي من هذا خبراً وعلماً، سمعت النبي ﷺ، يقول: «**ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي**» رواه الترمذي [١].

فَرُفِعَ فراش رسول الله ﷺ الذي توفى عليه، وحفر له تحته، ثم دعي الناس إلى الصلاة عليه، فجعلوا يدخلون يصلون عليه أرسالاً: الرجال، وبعد أن فرغوا: النساء، ثم دخل الصبيان، ثم دفن عليه الصلاة والسلام[٢].

قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**إن كان رسول الله ﷺ ليتعذّرُ في مرضه، أين أنا اليوم، أين أنا غداً؟ استبطاءً ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي، قبضه الله بين سحري ونحري، ودفن في بيتي**» رواه البخاري[٣].

وكانت -رضي الله عنها- قد رأتْ في منامها، ما يدل على أنه ﷺ سيدفن في حجرتها، فروى مالكٌ في الموطأ، بإسناده، عنها رضي الله عنها، قالت: رأيت ثلاثةَ أقمارٍ سَقَطْنَ في حِجْري، وفي لفظ: في حجرتي، فقصصت رؤياي على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ، ودفن في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك، وهو خيرُها[٤].

(١) سنن الترمذي (٣٩٣٠).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٨٥.
(٣) صحيح البخاري (١٢٦٤).
(٤) البداية والنهاية ٥/ ٢٩٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولما توفي أبو بكر الصديق h، دفن بجوار رسول الله ﷺ في حجرة عائشة i، حيث أوصاها بذلك، وجُعِلَ رأسه عند كتفي النبي ﷺ، وكان عمر h، قد استأذن من عائشة حين طُعن أن يدفن في حجرتها، فقد روى البخاري في صحيحه، أن عمر بعث ابنه عبد الله، فقال له: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السّلام، ثم سَلْها أن أُدفن مع صاحبي، فقالت i: كنت أريده لنفسي، فلأوثرنّه اليوم على نفسي، فلما رجع عبد الله قال له عمر: ما لديك؟ فقال: أَذِنَتْ لك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما كان شيء أهم إليّ من ذلك المضجع، فإذا قُبِضْتُ فاحملوني، ثم سلموا، ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أَذِنَتْ لي فادفنوني، وإلا فردّوني إلى مقابر المسلمين، ودُفن عمر h بجوار أبي بكر الصديق، ورَأْسُه عند منكب أبي بكر h[1].

وهكذا فإن هذه الحجرة، ضَمَّتْ جسدَ أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام، وجسدي صاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وقد عُنِيَ المسلمون بهذه الحجرة عناية فائقة، حيث اهتموا بتجديد بنائها على مر العصور والأزمان.

وهذه الحجرة ما بينها وبين منبر النبي ﷺ روضة من رياض الجنة، وقد ثبت ذلك من قوله ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**». متفق عليه[2].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٤١٨.

(٢) سبق تخريجه .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأما لفظة «ما بين قبري ومنبري» فلا تصح وقد ضعفها علماء الحديث وغيرهم.[١]

وإذا زار المسلم مسجدَ رسولِ الله ﷺ، سُن له أن يزور قبر النبي ﷺ، فيأتي ويقف في مواجهة قبر النبي ﷺ بأدب وخفض صوت، فيستدبر القبلة، ويستقبل القبر، ويكون أمام النافذة الدائرية اليسرى، مبتعداً عنها، ويسلم على النبي ﷺ، قائلاً: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين، وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده.

ولم يثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - صيغة معينة في الصلاة والسلام عليه عند قبره.

ثم يأخذ ذات اليمين قليلاً، فيسلم على أبي بكر الصديق ويترضى عنه ويدعو له، ثم يأخذ ذات اليمين قليلاً - أيضاً - ويسلم على عمر بن الخطاب ويترضى عنه ويدعو له، وكان ابن عمر رضي الله عنهما، إذا سلم على الرسول ﷺ وصاحبيه لا يزيد غالباً على قوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف[٢].

ولا يجوز لأحد أن يتمسّح بالحجرة النبوية، أو يقبلها، أو يطوف بها، فإن ذلك كله منهي عنه، كما أن زيارة قبره عليه الصلاة والسلام خاصة بالرجال دون النساء.

(١) التمهيد لابن عبدالبر١٧/ ١٨١.

(٢) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ٥٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث السادس
بقيع الغرقد

بقيع الغرقد: هو المكان الذي يدفن فيه الموتى في المدينة المنورة، وأصل كلمة بقيع في اللغة: المكان الواسع الذي تنبت فيه أشجار مختلفة، و الغرقد: جمع غرقدة، وهي شجرة ذات شوك، تشبه العوسج في أوراقها وفروعها الشائكة، وأزهارها الطويلة، ذات رائحة، وهي بيضاء مخضرة، وارتفاعها من متر إلى ثلاثة أمتار[1].

وكان هذا النوع من الشجر ينبت بكثرة في البقيع المعروف في المدينة، فأضيف إليه، وعرف به، فقيل: بقيع الغرقد.

وقد قطعت تلك الأشجار وأزيلت، حيث جعل ذلك المكان مقبرة يدفن فيها المسلمون من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا.

وأصبح البقيع اليوم في وسط المدينة المنورة، إلى الجنوب الشرقي من المسجد النبوي الشريف، لا يفصل بينه وبين ساحات الحرم الشرقية والجنوبية الشرقية إلا طريق واسع للمشاة، كما تم توسعة البقيع أضعاف مساحته الأصلية، حيث أضيفت له مساحات كبيرة، يحيط بها سور عال يزيد ارتفاعه عن أربعة أمتار، ومغطىً بالرخام.

(١) الصحاح للجوهري ٢/ ٥١٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأول من دفن بالبقيع من الأنصار أسعد بن زرارة الأنصاري الخزرجي، مات في السنة الأولى من الهجرة، والنبي ﷺ يبني المسجد النبوي[١].

وأول من دفن بالبقيع من المهاجرين، عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، من أعيان المهاجرين، مات في السنة الثانية من الهجرة[٢].

وكان النبي ﷺ يتردد على مقبرة البقيع، ويزورها، ويدعو لأهلها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**» رواه مسلم[٣].

ومما ورد في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم، ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ ذات ليلة، فلبس ثيابه، ثم خرج، فأمرت بريرة جاريتي تتبعه، فَتَبِعَتْهُ حتى جاء البقيع، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف، ثم انصرف، فسبقته بريرة، فأخبرتني، فلم أذكر له شيئًا حتى أصبحت، ثم إني ذكرت ذلك له، فقال: «**إني بعثت لأهل البقيع لأصلي عليهم**» رواه ابن حبان.[٤]

ومعنى (أصلي عليهم) أدعو واستغفر لهم.

---

(١) تحقيق النصرة ١٢٥

(٢) المصدر السابق .

(٣) صحيح مسلم (٩٧٤).

(٤) صحيح ابن حبان (٣٧٤٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويؤخذ من ذلك استحباب زيارة قبور البقيع لفعل النبي ﷺ، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**» رواه مسلم[(١)].

فزيارتها مما يرقق قلب المؤمن، ويوقظه من غفلته، ويذكّره بأنه صائر في يوم من الأيام إلى ما صار إليه هؤلاء، وأن بقاءه في الدنيا من المحال، وأنّ الموت الذي تخطاه إلى أهل القبور، سيلاقيه في لحظة من اللحظات.

وفي زيارته لإخوانه الموتى يدعو لهم بالمغفرة والرحمة، وأن يوسع الله لهم في قبورهم، وينيرها عليهم، ويجعلها روضة من رياض الجنة، وعلى الزائر أن يستشعر حال الموتى وما هم فيه من النعيم أو العذاب، وأن مآله في قادم الأيام سيكون كذلك.

وأما ما يفعله بعض زائري البقيع من البكاء والصراخ، والاستغاثة بمن دفن فيه من موتى الصحابة وغيرهم، وسؤالهم جلب النفع، أو دفع الضر، أو شفاء المرضى، فإن ذلك كله شرك أكبر، لأن هذه الأشياء لا تطلب إلا من الله تعالى، وقد أَمَرَنا بدعائه، ووَعَدَنا بالإجابة: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[(٣)].

(١) صحيح مسلم (٩٧٦).
(٢) سورة غافر، آية (٦٠).
(٣) سورة ا لمائدة، آية (٧٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا يجوز للنساء زيارة القبور، فإن ذلك مما نهى عنه ﷺ، فإنه لعن زائرات القبور، ولأن المرأة لا تتحمل زيارة القبور، فهي رقيقة الطبع سريعة الانفعال، وقد يحدث منها مخالفات أخرى من شق الجيوب، ورفع الصوت بالبكاء، والنياحة، ولطم الخدود، وغير ذلك مما نهيت عنه، وقد يحصل الافتتان بها من الرجال، فتكتفي بالدعاء للأموات وهي في بيتها[١].

وذكر المؤرخون أن نحواً من عشرة آلاف من الصحابة رضي الله عنهم مدفونون في البقيع، منهم الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأبو هريرة، والعباس عم رسول الله ﷺ، والحسن بن علي، وبنات رسول الله ﷺ، وإبراهيم ابن النبي ﷺ، وأمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ، ما عدا خديجة بنت خويلد فقد دفنت بمكة، وميمونة بنت الحارث فماتت بسرف بالقرب من مكة، رضي الله عنهم أجمعين[٢].

والنبي ﷺ حث على الموت بالمدينة، وبيّن فضله، وقال: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فإنه من مات بالمدينة كُنتُ له شهيداً أو شفيعًا يوم القيامة**» رواه ابن حبان[٣].

لكن الأحاديث الواردة في فضل الدفن بالبقيع، وأن له مزية على غيره، تكلم فيها علماء الحديث، وبيّنوا ضعفها، فمنها ما رُوي عن أم قيس بنت محصن الأسدية -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال لها عند بقيع

(١) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ٥٤.
(٢) عمدة الأخبار ١٤٩.
(٣) صحيح ابن حبان (٣٧٣٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الغرقد: «**تَرَيْنَ هذه المقبرة؟**»، قلت: نعم يا رسول الله، قال: «**يبعث منها سبعون ألفًا وجوههم كالقمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب**». رواه الحاكم[١]، وإسناده ضعيف.

ومنها ما روي عن ابن عمر k قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين**» رواه الترمذي وقال حديث غريب[٢]، وضعّفه الإمام الذهبي وقال: منكر جداً. وقال ابن الجوزي: لا يصح، والجملة الأولى منه، وهي قوله ﷺ: «**أنا أول من ينشق عنه القبر**» ثابتة في صحيح مسلم[٣].

ومن الأحاديث التي يرددها البعض عن البقيع ولا تصح: «**الحجون والبقيع يؤخذان بأطرافهما وينثران في الجنة**»، وقد عدّه العلماء في الأحاديث الموضوعة[٤]. وغيرها من الأخبار الواهية التي لم تثبت صحتها عن النبي ﷺ.

والمؤمن وقَّافٌ عند حدود الله تعالى، يدعوه ويعبده على بصيرة، ولا يتجاوز ما أمر به، بل يتمسك بشدة بما ثبت من الأوامر، ويتجنب النواهي، ويتأسى بالمصطفى عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله، ومن ذلك امتثاله بهديه عند زيارته للبقيع فيكتفي بالسلام على الأموات،

(١) المستدرك للحاكم ٤/ ٦٨، وهو حديث ضعيف.
(٢) سنن الترمذي (٣٦٩٢) وهو حديث ضعيف.
(٣) صحيح مسلم (٢٢٧٨).
(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (٣٢٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والدعاء والاستغفار لهم، دون أن يعظّم القبور، أو يدعو أهلها أو يستغيث بهم، أو يتخذها عيداً، أو يطوف حولها، أو يُعَفِّر بترابها خَدَّيه، أو يتمسح بالأسوار حولها، فإن ذلك كله مخالف للتوجيهات الإلهية، والإرشادات المحمدية، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (١).

(١) سورة يونس، آية (١٠٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث السابع
مسجد قباء

عندما بلغ الأنصار خبر خروج النبي ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة المنورة، لم تسعهم الفرحة بهذا الخبر السارّ، واستبشروا بقدومه عليهم، فكانوا يخرجون كل يوم إلى مشارف المدينة الجنوبية عند الحرة، ينتظرونه، واستمروا على ذلك عدة أيام.

وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة من بعثته عليه الصلاة والسلام، وهي السنة الأولى من الهجرة، خرج الأنصار على عادتهم، وجلسوا ينتظرون رسول الله ﷺ، حتى ظهر عليهم بطلعته البهية، واكتحلت أعينهم برؤيته، وكبروا فرحاً به، وتلقوه وحيّوه بتحية النبوة، وصاح النساء والخدامُ والغلمان، جاء محمد، جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد، وسار رسول الله ﷺ ومعه الصديق رضي الله عنه، يَحُفُّ به الأنصار مرحبين به، حتى وصل إلى حي بني عمرو بن عوف في قباء، وبقي مدة أربعة عشر يوماً، وكان أولُ عمل قام به بناءَه لمسجد قباء، فهو أول مسجد بني في المدينة، وأول مسجد بني لعموم الناس، وهو أول مسجد صلى فيه النبي ﷺ بأصحابه صلاة الجماعة جهراً، وكانت قبلته إلى بيت المقدس[1].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٥٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي قصة هجرته ﷺ، قال عروة بن الزبير - رحمه الله -: إن رسول الله ﷺ لبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وبنى المسجد الذي أسّس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة. رواه البيهقي[١].

وفي سورة التوبة، يقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٢].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن هذه الآية، نزلت بسبب مسجد قباء، ثم قال: لكن الحكم -أي وصفه بكونه أسس على التقوى - يتناوله ويتناول ما هو أحق منه بذلك، وهو مسجد المدينة[٣].

وقال في موضع آخر: وكلا المسجدين أسس على التقوى، لكن مسجد المدينة أكمل في هذا النعت، فهو أحق بهذا الاسم، ومسجد قباء كان سبب نزول الآية.

وذكر أبو بكر ابن العربي - رحمه الله - أن أهل قباء هم الموصوفون بذلك، والأمر مشهور جداً، وقد نقل ذلك عن جماعة لا يحصون[٤].

وَرَجّحَ الإمام الطبري في تفسيره أن المراد المسجد النبوي، وذلك لما روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: دخلت على رسول الله ﷺ في

(١) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٨.
(٢) سورة التوبة آية (١٠٨).
(٣) منهاج السنة لابن تيمية ٧/ ٧٦.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٤٠٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟، قال: فأخذ كفاً من حصباء، فضرب به الأرض ثم قال: «**هو مسجدكم هذا**»، لمسجد المدينة. رواه مسلم[(١)].

وورد أن النبي ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[(٢)]، سأل أهل قباء، ما طهوركم هذا الذي أثنى الله عليكم به؟ فقالوا: يا رسول الله، كنّا نستنجي بالماء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام لم ندعه، قال عليه الصلاة والسلام: «**فلا تدعوه**»، رواه الطبري[(٣)].

ويقع مسجد قباء في حي قباء، وهو من أكبر أحياء المدينة المنورة، وكان يسكن ذلك الحي بنو عمرو بن عوف من الأنصار، وأصل التسمية لبئر كانت هناك يقال لها قباء، فسمي ذلك المكان بها.

ولفضل هذا المسجد، وكونه أول مسجد بني في الإسلام، اهتم المسلمون به، وأولوه عنايتهم، من خلال تجديد عمارته، وأول من قام بذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم إن عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى، لما وسع مسجد النبي ﷺ، لم يغفل عن مسجد قباء، بل زاد في مساحته، وبناه بالحجارة والجص، وأقام فيه الأساطين من

(١) صحيح مسلم (١٣٩٨).
(٢) سورة التوبة، آية (١٠٨).
(٣) جامع البيان للطبري ١٤/ ٤٨١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحجارة، في جوفها عُمُدُ الحديد والرصاص، ونقشه بالفسيفساء، وعمل له منارة، ثم جُدد بناؤه عده مرات[١].

ونظراً لما حظيت به المدينة المنورة من ولاة أمر هذه البلاد ، فقد كان لمسجد قباء نصيب كبير من العناية ، حيث تمت توسعته بصورة حديثة، وزيدت له مساحات واسعة، وحاز اهتماماً خاصاً.

حيث اشتمل التكوين الأساسي للمسجد على بناء مستطيل، مع إيجاد فناء داخلي، تفتحُ عليه جميعُ المداخل، وخُصّصَ الجزء الشمالي منه مصلى للنساء مكوناً من دورين بمداخل منفصلة عن الرجال، وللمسجد ستٌ وخمسون قبة صغيرة، وست قباب كبار، وثمان قباب مترابطة على مداخل المسجد، وله أربع مآذن في أركانه الأربعة، ارتفاع كل منها سبعة وأربعون متراً، وتم تجليد حوائط المسجد بالجرانيت، وغطيت أرضيات الصحن المكشوف بالرخام والجرانيت المزخرف، وغطي الصحن المكشوف بخيمة لوقاية المصلين من حرارة الشمس، وتم تزويد المسجد بأجهزة تكييف مركزية.

وتبلغ التوسعة الحالية للمسجد ما يقرب من ثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة متر مربع، ويستوعب المسجد والساحات الخارجية المرصوفة المهيأة للصلاة، عشرين ألف مصلٍ، وللمسجد تسعة عشر باباً ومدخلاً، وبجواره دوراتٌ للمياه والوضوء، وسكن للإمام والمؤذن[٢].

(١) وفاء الوفا ٣/ ٨٠٤.

(٢) ينظر: دليل الإنجازات السنوي: ٢٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لقد نال مسجد قباء هذا الاهتمام لما له من مكانة في نفوس المسلمين، إذ هو من الأماكن التي حث رسول الله ﷺ على زيارتها والصلاة فيها، فقد ثبت عنه ﷺ أن أجر الصلاة فيه يساوي أجر عمرة، فعن أسيد بن ظهير الأنصاري k أن النبي ﷺ قال : (**صلاة في مسجد قباء كعمرة**) رواه الترمذي[١] ، و روى سهل بن حنيف h، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كانت له بمنزلة عمرة**»، وفي لفظ: «**كعدل عمرة**». رواه ابن ماجه[٢].

وهذا يدل على فضل الصلاة فيه، سواءٌ صلى ركعتين أو أكثر، لأن التقييد بعدد معين من الركعات لا يثبت في حديث عن النبي ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ لا يغيب عن مسجد قباء كثيراً، بل إنه كان يتردد عليه في كل أسبوع مرة، يركب حيناً، ويمشي حيناً، روى ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «**كان النبي ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً**» رواه البخاري ومسلم[٣].

وأكثر ذهابه ﷺ إلى مسجد قباء يوم السبت، ففي الصحيحين[٤]، أنه ﷺ «**كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً**»، كما كان يخرج إليه يوم الإثنين، لكن أكثر ذهابه يوم السبت، وقد كان أصحابه رضي الله عنهم يتأسون به في ذلك، فيأتون إلى مسجد قباء ويصلون فيه.

---

(١) سنن الترمذي (٣٢٤).

(٢) سنن ابن ماجه (١٤١٢).

(٣) صحيح البخاري (١١٩٣) ، صحيح مسلم (١٣٩٩).

(٤) صحيح البخاري (١١٩١) ، صحيح مسلم (١٣٩٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكذلك كان دأبُ السلف الصالح والمسلمون في كافة العصور المتلاحقة، والأزمنة المتتالية إلى يومنا هذا، تكثر جموعهم، وتزداد أعدادهم، يحرصون على الصلاة في مسجد قباء، والتردد إليه، والإكثار من النوافل تأسياً بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثامن
جبل أحد

من المعالم الشهيرة في المدينة المنورة، جبل أحد، ويشاهده مَن في المدينة إلى الشمال منها، قد اتصل العمرانُ بمعظم سفوحه، وأحاط به من عدد مِن جهاته، وهو جبل صخري يميل إلى الاحمرار في أغلب أجزائه، وذو قمم متعددة إذ يتكون من سلسلة جبال متصلة ببعضها، كثيرة الشعاب والهضاب والنقر التي تحتفظ بمياه الأمطار، وطوله يقرب من سبعة كيلو مترات يمتد من المشرق إلى المغرب، ما بين شارع المطار وطريق العيون، وإلى الشمال منه جبل ثور، فيكون أحد داخلاً في حرم المدينة.

وورد في جبل أحد، أحاديث كثيرة، منها ما جاء في فضله، فعن أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه- قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة، قال: «**هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه**» متفق عليه[1].

وروى أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ طلع له أحد، فقال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٢) ، صحيح مسلم (١٣٩٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٩٣) ، صحيح مسلم (١٣٦٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال الإمام البغوي رحمه الله:[١] : « وَلا يُنْكَرُ وَصْفُ الجَمَادَاتِ بِحُبِّ الأَنْبِيَاءِ ، وَالأَوْلِيَاءِ ، وَأَهْلِ الطَّاعَةِ، كَمَا حَنَّتِ الأُسْطُوَانَةُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ حَتَّى سَمِعَ الْقَوْمُ حَنِينَهَا إِلَى أَنْ أَسْكَتَهَا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم ، وَكَمَا أَخْبَرَ أَنَّ حَجَرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ قَبْلَ الوَحْيِ ، فَلا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ جَبَلُ أُحُدٍ ، وَجَمِيعُ أَجْزَاءِ المَدِينَةِ كَانَتْ تُحِبُّهُ ، وَتَحِنُّ إِلَى لِقَائِهِ حَالَةَ مُفَارَقَتِهِ إِيَّاهَا ، حَتَّى أَسْرَعَ إِلَيْهَا حِينَ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهَا ، كَمَا أَقْبَلَ عَلَى الأُسْطُوَانَةِ ، وَاحْتَضَنَهَا حِينَ سَمِعَ حَنِينَهَا عَلَى مُفَارَقَتِهِ » انتهى كلامه رحمه الله .

قلت: ويؤيد هذا ما في الرواية الأخرى أن النبي ﷺ حين رجع من غزوة تبوك ووصل إلى وادي القرى، بين تيماء وخيبر، قال عليه الصلاة والسلام: «**إني مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث، حتى إذا أشرفنا على المدينة، قال: «هذه طابة، وهذا أحد، وهو جبل يحبنا ونحبه**» متفق عليه[٢]، وهذا لفظ مسلم.

وقال الإمام النووي رحمه الله : « الصَّحِيح المُخْتَار أَنَّ مَعْنَاهُ : أَنَّ أُحُدًا يُحِبّنَا حَقِيقَة ، جَعَلَ الله تَعَالَى فِيهِ تَمْيِيزًا يُحِبّ بِهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانه وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٣]، وَكَمَا حَنَّ الجِذْع اليَابِس ، وَكَمَا سَبَّحَ الحَصَى ، وَكَمَا فَرَّ الحَجَر بِثَوْبِ مُوسَى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَمَا قَالَ نَبِيّنَا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنِّي لَأَعْرِف حَجَرًا بِمَكَّة كَانَ يُسَلِّم عَلَيّ»[٤] ، وَكَمَا دَعَا الشَّجَرَتَيْنِ المُفْتَرِقَتَيْنِ فَاجْتَمَعَا ، وَكَمَا رَجَفَ حِرَاء

(١) شرح السنة (٧/ ٣١٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الآية (٧٤) من سورة البقرة .

(٤) صحيح مسلم (٢٢٧٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فَقَالَ : «اُسْكُنْ حِرَاء فَلَيْسَ عَلَيْك إلَّا نَبِيّ أَوْ صِدِّيق.... »[١]، الْحَدِيث . وَكَمَا كَلَّمَهُ ذِرَاع الشَّاة ، وَكَمَا قَالَ سُبْحَانه وَتَعَالَى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٢]. وَالصَّحِيح فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَة: أَنَّ كُلّ شَيْء يُسَبِّح حَقِيقَة بِحَسَبِ حَاله، وَلَكِنْ لَا نَفْقَههُ، وَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَوَاهِد لِمَا اِخْتَرْنَاهُ، وَاخْتَارَهُ الْمُحَقِّقُونَ فِي مَعْنَى الْحَدِيث، وَأَنَّ أُحُدًا يُحِبّنَا حَقِيقَة»[٣].

وقد وردت روايات أخرى، في فضل أحد، ضعّفَها علماء الحديث، منها: «**وإنه لعلى ترعة من ترع الجنة، وإن عيراً على ترعة من ترع النار**»[٤].

ومنها: «إن أحداً على باب من أبواب الجنة، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه» رواه عبد الرزاق[٥].

ومما ورد في جبل أحد، ما رواه أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، صعدوا أحداً فرجف بهم، فضربه رسول الله ﷺ، برجله، وقال: «**اثبت أحد، فما عليك إلا نبيٌ وصديق وشهيدان**» رواه البخاري[٦].

ومن تأكيده ﷺ على وجوب محبة أصحابه رضي الله عنهم، ونهيه عن التعرض لأحد منهم بسوء أو أذى، أو انتقاصهم، أو الحطّ من قدرهم أو

---

(١) سنن الترمذي(٣٧٥٧).
(٢) الإسراء: ٤٤.
(٣) شرحه صحيح مسلم (٥/ ٣٠).
(٤) سنن ابن ماجه (٣١١٥).
(٥) مصنف عبدالرزاق (١٧١٧٢).
(٦) صحيح البخاري (٣٦٧٥) ، صحيح مسلم (٢٤١٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الاستخفاف بهم، وأن من جاء بعدهم مهما أنفق وبذل، فإنه لن يحصل على أجر وثواب ما ينفق أحدهم على قلته ويسره، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبّوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مدّ أحدهم، ولا نصيفه**». رواه البخاري ومسلم(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: معناه: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر، ما ينال أحدهم بإنفاق مد من الطعام، أو نصفه. انتهى كلامه(٢).

كما أنه عليه الصلاة والسلام، كان يرغب في الصدقة ويحث عليها، ويذكّر أصحابه بفضلها، وبين أنه لو مَلَكَ من الذهب ما يماثل جبل أحد، لأنفقه في سبيل الله تعالى، فعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عِشَاءً، ونحن ننظر إلى أحد، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر**»، قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**ما أحبُّ أنّ أُحُداً ذاك عندي ذهب، تأتي عليّ ثالثةٌ وعندي منه دينار، إلا دينارٌ أرصده لدين عليّ، إلا أن أقول به في عباد الله، هكذا، وهكذا، وهكذا، وحثا بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله**» رواه البخاري ومسلم(٣).

كما بين عليه الصلاة والسلام أن الكافر يُعَظَّمُ عذابُه ويُغَلظُ، بحيث يظهر ذلك في أعضاء جسمه، إذ يكون حجم نابه كجبل أحد، فقد روى أبو هريرة h أن رسول الله ﷺ، قال: «**ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد**» رواه مسلم.

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣)، صحيح مسلم (٢٥٤١).
(٢) فتح الباري: ٧/ ٧.
(٣) صحيح مسلم (٢٣٨٨)، صحيح مسلم (٢٣٠٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وورد في سبب تسميته بأحد تعليلاتٌ كثيرة، منها أنه سمي بذلك لتوحده عن الجبال، وعدم اتصاله بغيره، وإحاطته بالأودية والسهول من جوانبه.

وأعظم الأحداث التي كانت عند أحد، وارتبطت بهذا الاسم، معركة أحد الشهيرة التي وقعت بجواره، وكانت في يوم السبت الخامس عشر من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، حيث أرادت قريش أن تثأر من هزيمتها في بدر، ومقتل صناديدها في ذلك اليوم، وتستعيد شيئًا من مكانتها بين العرب في تلك الفترة، وتؤمن طريق تجارتها إلى الشام، فخرجت قريش من مكة بجيشها وتعدادُه ثلاثة آلاف مقاتل، فيه عدد من أبرز القواد وأشهرهم إذ ذاك: خالدُ بن الوليد، وأبو سفيان، وعكرمةُ بن أبي جهل، واستعد النبي ﷺ لمواجهتهم، واستشار أصحابه، وخرج يقود المسلمين حتى وصلوا إلى جبل أحد، حيث جعل ظهره إليه وعن يمينه، وجعل جبل (عَينين)، عن يساره، وهو الجبل الصغير الذي أمر عدداً من الرماة أن يكونوا عليه، ويرموا كل من يقترب من صفوف جيش المسلمين[(١)].

ودارت أحداث تلك المعركة الشهيرة، ولا ننسى الصورَ البطولية لجند الله المسلمين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، إذ أظهروا شجاعة نادرة في ميدان المعركة، واستطاعوا أن يدحروا المشركين الذين ولوا الأدبار، ونساؤهم يبكين ويولولن، غير أن بعض المسلمين هرعوا إلى جمع الغنائم، وتسابق الرماة فنزلوا من موقعهم الحصين في أعلى الجبل، رغم تأكيد النبي ﷺ عليهم قبل بدء المعركة، بعدم ترك أماكنهم، فما كان من خالد بن الوليد إلا أن انتهز فرصة انشغال المسلمين بجمع الغنائم، والتف

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حول جبل الرماة، ثم عاد إلى ميدان المعركة، فحمل على المسلمين من ورائهم، ودبت الفوضى فيهم، وساد الرعب، وقاوم عليه الصلاة والسلام مقاومة الأبطال، وأصيب، وكسرت رباعيته، وشج في وجهه، وسال دمه الطاهر[١]، وجعل يمسحه ويقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام**» رواه مسلم[٢].

واستشهد في هذه المعركة سبعون من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، ونزلت آيات كثيرة، تذكر أول مراحل هذه المعركة، ثم تبين نتائجها وحكمها، قال جل وعز: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[٣].

لقد كانت معركة أحد امتحاناً من الله تعالى لعباده وابتلاءً لهم، إذ بان لهم سوءُ عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن ما أصابهم بسبب ذلك.[٤]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[٥].

---

(١) فتح الباري ١٥/ ٢٥١، الرحيق المختوم ٢١١.

(٢) صحيح مسلم (١٤١٧).

(٣) سورة آل عمران، الآيتان (١٤٠ - ١٤١).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٥٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشدّ حذراً ويقظة، وتحرزاً من أسباب الخذلان[١].

وقد أثنى النبي ﷺ على ربه جل وعلا، ومجّدهُ، وحمده على ما أصابهم في ذلك اليوم، فإنه بعد أن انكفأ المشركون، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**استووا حتى أثني على ربي**»، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: «**اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك، وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذٌ من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفّنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رُسلك، ويصدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق**». رواه أحمد [٢].

وعزّى الله تعالى نبيه ﷺ، وأولياءه، عمن قتل منهم في سبيل الله أحسن تعزية وألطفها، وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لها، فقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ

(١) دلائل النبوة ٣/ ٢٢٠.

(٢) مسند أحمد (١٥٨٩١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح ٥٣٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[1].

فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه، وأنهم عنده، وجريان الرزق المستمر عليهم، وفرحهم بما آتاهم الله من فضله، وهو فوق الرضا، بل هو كمال الرضا، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم[2].

ويسن للمسلم زيارة قبور الشهداء في أحد، والدعاء لهم، والتّرحم عليهم، ومنهم حمزةُ عم رسول الله ﷺ، لأنه عليه الصلاة والسلام زارهم، وقال: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**» رواه مسلم[3].

ويتذكّر المسلم بزيارته لهم ما كان من أحداث تلك المعركة، وما ابتلى الله به عباده من هذه المحنة، التي ميّزت بين المؤمن والمنافق، وأنه تعالى هو المدبّر لأمور عباده كما يليق بحكمته، فقضى أنه لا يصلحهم إلا السراء والضراء، والشدّة والرخاء، غير أن زيارة قبور الشهداء في أحد أو غيرهم لا تتقيد بزمن معين، ولا موعدٍ محدد، بل ولا يُخَصص بها وقت دون آخر، فمتى تيسّر له ذلك زارهم من غير أن يربط ذلك بحدث أو مناسبة.

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٦٩-١٧٠).

(٢) زاد المعاد: ٣/ ٢٤٠ .

(٣) سبق تخريجه.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس المصادر

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : لعلي ابن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ). حققه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة .
- أخبار مكة . لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (ت ٢٤٤ هـ) . تحقيق رشدي الصالح ملحس . طبعة مكتبة الثقافة .
- أخبار مكة . لأبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي (ت ٢٧٢ هـ . تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. طبعة دار خضر – بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، الناشر :دار الفكر ، (١٤١٥هـ) .
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٥هـ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٨هـ ، الناشر : دار المعرفة، بيروت.
- البداية والنهاية ، تأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤، والطبعة الثانية بالأوفست سنة ١٩٧٤، والناشر: مكتبة المعارف بيروت.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس(١٩٨٤م).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة. تأليف زين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي (٨١٦ هـ). تحقيق : سعيد عبد الفتاح. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- تفسير القرآن العظيم . تأليف : إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ . دار عالم الكتب – الرياض .
- تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، تأليف الأستاذ محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ، الطبعة الرابعة، من دار المنار بمصر سنة ١٣٧٣ هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . تأليف أبي عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ). تحقيق : أسامة بن إبراهيم . الناشر : الفاروق الحديثية للطباعة والنشر .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن. تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ). شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ . طبعة دار الفكر – بيروت . الناشر : مكتبة التجارية مكة المكرمة .
- زاد المعاد في هدي خير العباد : تأليف : ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- سنن أبي داود : تأليف : الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، الناشر دار السلام ، الرياض (١٤١٩هـ).
- سنن ابن ماجه . تأليف : الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، الناشر دار السلام ، الرياض (١٤١٩هـ).
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) . تأليف : الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ ، الناشر دار السلام ، الرياض (١٤١٩هـ).
- السنن الكبرى . تأليف : الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨ هـ). طبعة دار الكتب العلمية . تحقيق : محمد عبد القادر عطا.
- السيرة النبوية الصحيحة . تأليف : د/ أكرم ضياء العمري . طبعة مكتبة العبيكان.
- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام أبو محمد ، الناشر: دار الكتاب العربي (١٤١٠هـ).
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة تحليلية ، مهدي رزق الله أحمد ، الناشر : مركز الملك فيصل .
- شرح السنة . تأليف : أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ). تحقيق : شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش . الناشر : المكتب الإسلامي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- شرح النووي على صحيح الإمام مسلم . تأليف : الإمام النووي . حقق أصوله وخرج أحاديثه ورقمه الشيخ خليل مأمون شيحا . طبعة دار المعرفة – بيروت .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .
- صحيح ابن خزيمة : لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت ٣١١ هـ). تحقيق : د / محمد مصطفى الأعظمي . الناشر : شركة الطباعة العربية السعودية بالرياض.
- صحيح البخاري، تأليف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، الناشر دار السلام ، الرياض (١٤١٩هـ).
- صحيح الجامع الصغير . تأليف الشيخ الألباني . طبعة المكتب الإسلامي .
- صحيح مسلم ،تأليف الإمام مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦١هـ،الناشر دار السلام ، الرياض (١٤١٩هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري . تأليف : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). درا الريان للتراث الطبعة .
- فتح القدير ، العلامة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . تأليف : أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤ هـ) . تحقيق : محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو . دار ابن كثير للطباعة والنشر . الطبعة السادسة ١٤١٦ هـ .
- القرى لقاصد أم القرى . تأليف : أبي العباس محب الدين الطبري المكي (ت ٦٩٤هـ). دار الفكر.
- المجتمع المدني في عهد النبوة ، أكرم ضياء العمري ، الناشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى .
- المجموع شرح المهذب : تأليف : أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي . تحقيق : محمد نجيب المطيعي . طبعة مكتبة الإرشاد – جدة .
- مجموع فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . الناشر : دار عالم الكتب – الرياض .
- المستدرك على الصحيحين في الحديث : تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم (ت ٨٤٨هـ مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب .
- مسند الإمام أحمد . تأليف : الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) . الناشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت .
- المصنف . تأليف : الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ). تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . المجلس العلمي جوهانسبرج .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- معجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ، سعد بن جنيدل ،الناشر : دارة الملك عبد العزيز ، (١٩٩٩م).
- المعجم الكبير . تأليف : الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ). تحقيق : حمدي عبد الحميد السلفي . دار إحياء التراث العربي.
- المغني . تأليف : أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ). تحقيق : د/ عبد الله بن عبد الغني التركي ، ود/ عبد الفتاح الحلو . دار هجر القاهرة.
- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم ، أبوالعباس القرطبي ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) ، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق.
- منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٦هـ).
- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك . تأليف : عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني (ت ٧٦٧ هـ) . تحقيق : نور الدين عنز. دار البشائر الإسلامية – بيروت .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة